# الضمير الإنساني

# في السلم والحرب

## (دراسة في السلوك والدوافع الأخلاقية)


إعداد الدكتور

**محمد محمد بيومي البربري**

مدرس العقيدة والفلسفة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

بنين بدسوق - جامعة الأزهر

# الضمير الإنساني في السلم والحرب...
# دراسة في السلوك والدوافع الأخلاقية

**محمد محمد بيومي البربري**

قسم العقيدة والفلسفة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين، بدسوق، جامعة الأزهر، كفر الشيخ، جمهورية مصر العربية.

البريد الالكتروني **MohamedBayoumi.2230@azhar.edu.eg**

**ملخص البحث:**

يهدف هذا البحث إلى بيان مكانة الضمير الإنساني في علم الأخلاق الإسلامي وتطبيقه في حالتي(السلم والحرب)، وذلك من حيث السلوك الإنساني والدوافع الأخلاقية التي تهذب النفس، وتأخذ بها إلى السكون والطمأنينة واليقظة من غفلتها وعودتها إلى فطرتها السليمة، وتهدف الدراسة ـ أيضاً ـ إلى التأكيد على أن الضمير الإنساني هو الحاكم على أفعالنا من حيث التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل، وحاولت الدراسة بيان عظمة الضمير الإنساني باعتباره الناصح الأمين لكل سلوك يقوم به الإنسان تجاه نفسه أو مجتمعه أو خالقه جل وعلا، إذ يعد محكمة لا تحتاج لشهود ولا قضاة؛ لأن أحكامه نابعة من القلب، ومن ثم اقتضت طبيعة البحث السير وفق خطوات المنهج التطبيقي، وقد تمخضت الدراسة عن عدة نتائج تتمحور جميعها حول سماحة الإسلام مع الآخر سواء أكان ذلك في السلم أم في الحرب؛ لأن الضمير الإنساني قاسم مشترك بين الأنواع البشرية، بغض النظر عن المعتقد، وقد شرع الإسلام كثيرا من التشريعات التي تبث في المجتمع السلم الذي يؤدي إلى استقرار المجتمع حين تطبق الدوافع الأخلاقية والسلوكيات الإنسانية على أرض الواقع، فترقى الأمم ويعلو مجد الإسلام وينتشر في أنحاء المعمورة، وفي إطار ذلك تظهر أهمية الضمير؛ لأنه الدافع المباشر لكل أفعال الخير.

**الكلمات المفتاحية: الضمير، السلم، الحرب، السلوك، الدوافع، الأخلاقية**

# Human conscience in Peace and War

## A Study in Behavior and Moral Motives.

Mohamed Mohamed Bayoumi Al-Barbary.

Department of Doctrine and Philosophy, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Boys, Desouk- Al-Azhar University, Kafr Elshikh, Arab Republic of Egypt.

Email: **MohamedBayoumi.2230@azhar.edu.eg**

**Abstract:**

This research aims to clarify the status of the human conscience in Islamic ethics and its application in two cases (peace and war), in terms of human behavior and moral motives that refine the soul, take it to tranquility, reassurance, vigilance from its inattention, and get it back to its proper nature. The study also aims to emphasize that the human conscience is the judge of our actions in terms of adherence to virtues and avoidance of vices. The study tries to show the greatness of the human conscience as the honest advisor for every behavior that man does towards himself, his community or his Creator. It is a court that does not need witnesses or judges, because its provisions stem from the heart. The nature of the research requires adopting the applied approach, and the study resultes in several findings, all of which revolve around the tolerance of Islam with the other, whether in peace or in war, because the human conscience is a common denominator among human species, regardless of belief. Islam has legislated a lot of legislations that spread peace in society, thus leads to the stability of society when moral motives and human behaviors are practically applied. Consequently, the nations develop and Islam reches utmost glory and spreads throughout the world. The importance of conscience appears because it is the direct motive for all good deeds.

Keywords: Conscience, Peace, War, Behavior, Motives, Moral

# المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، وأشهد أن لا إله إلا الله، واحد في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله، يعلم ما كان وما يكون وما هو كائن في علمه المكنون، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله صاحب الضمير القويم والسلوك الرشيد، أرسله ربه رحمة للعالمين، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، وعلى آله وعترته ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

**ثم أما بعد،،،،**

فإن للضمير الإنساني مكانة كبيرة في عقيدة كل مسلم؛ لأنه نابع منها وهي تدعو الإنسان إلى فعل ما ينفعه والبعد عن كل ما يضره، وتظهر قيمة الضمير في الفكر الإنساني على وجه العموم، والفكر الإسلامي على وجه الخصوص عندما يتعرف الإنسان من خلاله على خالقه الذي خلق كل شيء على وجه التقدير، وكذا التعرف على الكون الفسيح من حوله من خلال النظر والتدبر والتفكر التي دعا إليها القرآن الكريم، وقد حوى القرآن الكريم بين دفتيه كثيرا من الآيات القرآنية التي تحث الإنسان على إحياء ضميره ويقظته من غفلته التي تنتابه من الحين والآخر التي تكون سببا في موته وبعده عن طريق الحق والخير أو القيم الأخلاقية التي دعا إليها الدين الحنيف، فالضمير الإنساني يأمر الإنسان إلى الانصياع للدار الآخرة التي فيها يحاسب على أعماله التي بدرت منه في الدنيا، وكذلك الجزاء الأخروي الذي يكون عقابا لمن خالف ضميره، فيكون العقاب جزاء وفاقا، إن خيرًا فخير وإن شرا فشر.

ويلعب الضمير دورا بارزا في السلم والحرب، وذلك في توجيه الناس توجيها سليما في الحرب بين الفئة الباغية والفئة التي تقاتل في سبيل الله، وذلك عندما يوجه الرسول . صاحب الخلق العظيم أصحابه في تطبيق الأخلاق الإسلامية تطبيقا صحيحا في الحروب والغزوات في أنهم لا يقطعون شجرة، ولا يقتلون امرأة ولا شيخا... إلخ.

ومن هذا المنطلق تؤدي الأخلاق الإسلامية دوراً مهماً في إبراز حقيقة وجوهر الإسلام وتطبيقه على أرض الواقع، فكانت النتيجة الحتمية أن دخل الناس في دين خالقهم أفواجا، أما أولئك الذين أماتوا ضمائرهم في حياتهم الدنيوية، فهم من حين لآخر في مأوي عن التعمير والاستخلاف اللذين خلقوا من أجلهما، بل إنهم في منأى عن طاعة الخالق التي هي الهدف من خلقتهم، ومن هنا فالضمير هو القوة الروحية التي جعلها الله في كل إنسان فمن زكاها فقد أفلح، ومن دساها فقد خسر خسرانا مبينا قال الله تعالى {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ }[الشمس الآيات: ٧ – ١٠]

والإنسان الكامل في حاجة إلى ضمير حي يدعو إلى السلوك القويم الذي يدعو إلى السلام الذي معناه (الأمن والأمان)، فتحية الإسلام هي (السلام)، وتحية أهل الجنة هي (السلام)، وهو اسم من أسمائه الحسنى، فقد دعا الإسلام إلى (السلام) ونبذ ما عداه من الحرب والخيانة وغيرهما من الرذائل التي نهى الإسلام عنها، ومن ينظر إلى العقيدة الإسلامية يجد أنها تكفل للإنسان حرية الاختيار في معتقده ولا تجبر أحدا على الدخول في دين الله، هذا بالإضافة إلى أنها قد أمرت المسلمين في التعامل مع الآخر مهما كان معتقده تعاملا بالحسنى والمعاملة الطيبة مع الآخر سواء أكان ذلك في الاعتقاد أم في المعاملات، وغيرذلك مما يفتح بابا للشر، ولهذا استوجب القرآن الأخذ بالحيطة والحذر في مجادلة أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن فقال {وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ} [سورة العنكبوت: ٤٦] بل أمر الإسلام أتباعه بأن يكفوا أيديهم عن الذين لم يتجرأوا على دين الله ولم يكونوا سببا في خروج أهل الإسلام من ديارهم، فقال سبحانه {لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ

إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ} [سورة الممتحنة: ٨] هذه الآية تدل على جواز البر بين المشركين والمسلمين، وإن كانت الموالاة منقطعة"[١]

والصحيح أن الإسلام أمر أتباعه إلى السلوك القويم في العقائد الدينية، والعبادات والمعاملات والأخلاقيات الحسنة التي رغب الإسلام فيها، والبعد عن كل خلق ذميم يكون سببا في تشويه صورة الإسلام للمخالفين في الاعتقاد.

**أهميـــــة الموضوع**:

يُعد البحث في موضوع**(الضمير الإنساني في السلم والحرب دراسة في السلوك والدوافع الأخلاقية)** أمراً مهماً في هذه الآونة خاصة لهؤلاء الذين أماتوا ضمائرهم ووضعوها في كهف مظلم، فلهم قلوب لا يفقهون بها، وبالتالي أصبحوا في منأى بعيد عن الدين الإسلامي الحنيف لا يطبقون قواعده في معاملاتهم مع المخالفين في الاعتقاد، سواء أكان هذا التطبيق في السلم والحرب أم في غيرهما من المعاملات، وهذا مما دفعني لاختيار هذا الموضوع وقد آثرت أن أجعله بعنوان **(الضمير الإنساني في السلم والحرب دراسة في السلوك والدوافع الأخلاقية)**

**المنهج المستخدم:**

هو المنهج التطبيقي وذلك في محاولة لإبراز الجانب الأخلاقي عند الفلاسفة وغيرهم من أعلام الفكر الإنساني وتطبيقه في حالتي السلم والحرب والدوافع الأخلاقية لهذا الضمير، هذا وقد استدعت الدراسة تقسيمه إلى مقدمة اشتملت على أهمية الموضوع ، والمنهج المتبع، وأربعة مباحث جاءت على النحو التالي:

**المبحث الأول: الضمير الإنساني مفهومه . أهميته . درجاته.**

**المبحث الثاني: الأسس الأخلاقية والسلوكية لبناء الضمير الإنساني**

**المبحث الثالث: الدوافع الأخلاقية للضمير الإنساني في السلم**

---

(١) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) (٢٩/ ٥٢١) دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

**المبحث الرابع: الدوافع الأخلاقية للضمير الإنساني في الحرب**

وخاتمة اشتملت على أهم نتائج البحث ثم ثبت المصادر والمراجع، والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم {وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [سورة هود: ٨٨]

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

**د / محمد محمد بيومي البربري**

## المبحث الأول

## الضمير الإنساني مفهومه ـ درجاته ـ أهميته

الضمير الإنساني هو أهم ما يميز الإنسان عن غيره ممن يحسبون بشرًا، ومن ثم فقد جاء الخطاب القرآني دائمًا وأبدًا موجهًا لهذا الضمير؛ وذلك ليكون الإنسان على بصيرة من أمره، وليتعرف الإنسان على الحكمة من خلق هذا الكون الفسيح من أجل أن يستعيد ما فقده ضميره الإنساني حتى يستطيع وقتئذ أن يفرق بين ما هو خيرٍ وما هو شرٍ.

**مفهوم الضمير في اللغة**

جاء في المعجم الوجيز أن الضمير: ما تضمره في نفسك ويصعب الوقوف عليه، واستعداد نفسي لإدراك الخبيث والطيب من الأعمال والأقوال والأفكار، والتفرقة بينهما، واستحسان الحسن، واستقباح القبيح منها " [1].

وعليه فالضمير الإنساني هو ما ينطوي عليه القلب أوهو ما يسره الإنسان في نفسه.

**مفهوم الضمير في الاصطلاح**

يعرف الضمير في الاصطلاح بأنه "استعداد نفسي لإدراك الحسن والقبيح من الأفعال،... على إصدار أحكام أخلاقية مباشرة على قيمة بعض الأفعال الفردية، ويطلق أيضا على الملكة التي تحدد موقف المرء إزاء سلوكه، أو تتنبأ بما يترتب على هذا السلوك من نتائج أدبية واجتماعية" [2]

---

(١) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، صـ ٣٨٢، ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٩٩ م . ٢٠٠٠م.

(٢) المعجم الفلسفي (بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية) الدكتور جميل صليبا (المتوفى: ١٩٧٦م) (١/ ٧٦٣) الشركة العالمية للكتاب – بيروت، تاريخ الطبع: ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤م.

ويعرفه أيضا القديس توما (الأكويني) [١] بأن "الضمير هو على نحو من الحكم الصادر من العقل" [٢].

والذي أذهب إليه أن الضمير هو الذي يدرك حسن الأشياء وقبحها ويحكم عليها بمعنى أنه ميزان للخير والشر في حياة الناس. وبالتالي فمحله (القلب) الذي جاء التعبير عنه في القرآن الكريم بأنه محل التدبر والتعقل.

يقول الدكتور/ عبد الحي محمد قابيل "جاء التعبير في القرآن،- بالقلب- رابطا بينه وبين التعقل وبين الطبع عليه وقفله وبين فقدان الإنسان العلم والتفقه التدبر، كما عبر القرآن عن الإرادة الحرة التي تعني القدرة على فعل الخير أو الشر وبها يصح التكليف" [٣].

**حقيقة الضمير:**

إن من ينظر إلى الضمير يجد أنه المؤشر لضبط سلوك الإنسان، وهذا ما يدركه الإنسان في داخله من وجود قوة تجعله يندم على ما بدر منه، وأيضاً "تحاول أن تمنعه من فعله، فإذا هو أصر على عمله أحس بانقباض نفسه أثناء العمل لعصيانه تلك القوة حتى إذا أتم العمل أخذت هذه القوة توبخه على الإتيان به وبدأ يندم على ما فعل" [٤] وهذه القوة تجعل صاحبها يمتنع عن الفعل فإذا فعله أصبح الإنسان نادمًا أشد الندم على الفعل

---

(١) توما الأكويني هو من أصل إيطالي كتب باللاتينية، ولد بين نهاية عام ١٢٢٤م، وبداية ١٢٢٥م، في قصر روكازيكا على مقربة من آكينيو (إيطاليا الجنوبية) ومات في فوسانوفا على مقربة من تراشينا. يراجع: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي . صـ٤٤١، دار الطليعة بيروت . الطبعة الثانية، ١٩٩٧م.

(٢) الأخلاق النظرية، د / عبد الرحمن بدوي، صـ ٥٩، وكالة المطبوعات . الكويت، ط٢، ١٩٧٥م.

(٣) المذاهب الأخلاقية في الإسلام، د / عبد الحي محمد قابيل، صـ٨٨، دار الثقافة للنشر، ١٩٨٤م. بتصرف يسير.

(٤) كتاب الأخلاق . أحمد أمين، صـ١٤، مؤسسة هنداوي، سنة ٢٠١١م.

ومن هنا فالضمير يقاوم النفس التي تلوم صاحبها على التفريط في أداء الواجبات أو فعل المنهيات المحرمة، وقد لعب الضمير دورا بارزا في حياة الإنسان الأول وهو (سيدنا آدم) . عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ . حينما اقترف الذنب وأكل من الشجرة التي نهاه الله عنها، فخالف أمره، فكانت النتيجة أن تلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه، أي تقبل الله توبته، ويقرر القرآن الكريم هذا الموقف فيقول { فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ } [سورة البقرة: ٣٧] البقرة من الآية: ٣٧.

ونلحظ أن توبة نبي الله آدم، إنما كانت بسبب قوله لهذه الكلمات، فتاب الله عليه، وهذا الاعتراف فيه دلالة على تحريك الضمير الداخلي للإنسان بأن يراجع نفسه أولاً بأول حتى يستقيم على طريق الخير، والبعد عن طريق الشر، والمراد بقول الله {وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ } [سورة غافر: ١٩]، أي "مضمرات القلوب" (١)

يقول الدكتور/ زكي مبارك " والإنسان فيما يرى ليس مسئولًا عن مراقبة ضميره، إذ هو لا يعرف الضمير، وإنما يسأل عن مراقبة ربه، وخشيته، في السر والعلانية، فليس هناك جارحة باطنية تدرك بالخير والشر، وإن لم تتعرض لهما الشرائع، وإنما هناك رب يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور (٢)، والصحيح أن الضمير قوة روحية تجعل الإنسان مسئولا عن أفعاله سواء أكانت خيرًا أم شرًا وهذا ما يدركه الإنسان ويحس به في داخله.

**إمكان تربية الضمير:**

إن تربية الضمير قائمة على ضبط النفس الإنسانية ويقظتها من غفلتها وعودتها إلى فطرتها السليمة، فهناك فرق بين الإنسان الذي يضبط نفسه بأن يبتعد

(١) مفاتيح الغيب، للرازي (٢٧ / ٥٠٥) ويراجع: الأخلاق عند الغزالي، زكي مبارك، صـ١٣٧، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٢م.

(٢) الأخلاق عند الغزالي، / د زكي مبارك، صـ ١٢٢، ١٢٣، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر.

كل البعد عما يدنس النفس ويشوش فطرتها، وبين الإنسان الذي يعطي لنفسه الصراح والجري وراء الملذات والشهوات التي من آثارها استحقاق صاحبها التأنيب والندم عما بدر منه، ولذلك يرى أبو نصر الفارابي الذي يلقب (بالمعلم الثاني) أن تربية الضمير إنما تكمن في ضبط الإنسان لأفعاله "فمن الطبيعي أن الضابط نفسه يختلف في استحقاق الفضل عن الرجل الفاضل صاحب الخلق المحمود لا تميل نفسه إلى الرذائل" (١)

وعليه فتربية الضمير تجعل الإنسان يميل إلى الخير والفضيلة وغيرهما من ألوان الفضائل، ولا تنزلق نفسه وراء الرذائل التي تعد وسيلة لموت هذا الضمير كما أنه يدفع الإنسان إلى الخير دائمًا وأبدًا، فهو بمثابة طريق يوضح للإنسان ما يفعله وما يجب عليه أن يتجنبه، وعليه فصدور الحكم على الشيء بأنه حسن أو قبيح من خلال هذا الوازع الديني.

على أية حال فإن الضمير هو الوازع الباطني داخل الإنسان الذي يصدر الحكم على أفعاله وهو الذي يميز بين الخير والشر وتأمر بالأول وتثيب عليه بالارتياح والطمأنينة، وتنهي عن الثاني وتعاقب عليه بالتأنيب والندم والتي سماها الإمام الغزالي "نورا إلهيا وتارة معرفة" (٢)

ويتضح من خلال ما سبق أن تربية الضمير إنما تكون على أساس من المراقبة التي دعا إليها الإسلام. وحذر من الغفلة التي تعتري الإنسان من وقت لآخر وتكون سببا في إماتة ضميره.

يقول حجة الإسلام "وصف المراقبة للعبد إنما يحمد إذا كانت مراقبته لربه وقلبه وذلك بأن يعلم أن الله تعالى رقيبه وشاهده في كل حال ويعلم أن نفسه عدو له وأن الشيطان عدو له، وأنهما ينتهزان منه الفرص حتى يحملانه على الغفلة

---

(١) فلسفة الأخلاق عند الفارابي، دكتور / ناجي عباس التكرتي، صـ٥١، عمان . دار دجلة، ٢٠١١م.

(٢) مباحث في فلسفة الأخلاق، محمد يوسف موسى، صـ٨٨، مؤسسة هنداوي.

والمخالفة فيأخذ منهما حذره بأن يلاحظ، مكانهما، وتلبيسهما ومواضع انبعاثهما حتى يسد عليهما المنافذ والمجاري فهذه مراقبته" [1]. ومن هنا فتربية الضمير من الأمور الممكنة عقلا وليس هناك مانع في تربيته تربية حميدة متمثلة في مكارم الأخلاق التي دعا إليها الإسلام

**. درجات الضمير:**

هناك درجات للضمير الإنساني وهي بمثابة صرح للإنسان يصعد من خلاله إلى ما يسمى بدرجة (السمو الروحي) الذي يعد من درجات الأنبياء والصالحين، ولا تنال إلا بالمجاهدة الروحية.، وعليه فالضمير الإنساني على درجات ثلاث وهي:

الأولى: ضمير يعمل الواجب خوفا من الناس، فهو يرى خيرا ما يرونه خيرًا وشرًا ما يرونه شرًا، وهذا النوع لا يصدر صاحبه في أعماله عن رأي نفسه بل نراه مدفوعا بغيره.

الثانية: وهي أحسن حالًا من سابقتها؛ لأن الضمير في هذه الدرجة يرى الخير فيما أمر به القانون والشر فيما حظره، فهو يطيع القانون أيا كان مصدره ولا يسمح لنفسه بمخالفته.

الثالثة: وهي الدرجة العليا وفيها الضمير يحتم على صاحبه عمل ما يراه في نفسه خيرًا، سواء أكان مخالفًا لما تواضع عليه الناس من أعراف ولما جاءت به القوانين أم كان موافقًا لكل ذلك؛ لأنه يشعر بأن هذا العمل خير طالما أنه يراه خيرًا "[2]

---

(١)المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) (صـ١١٨) المحقق: بسام عبد الوهاب الجابي، الجفان والجابي – قبرص، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

(٢) مباحث في فلسفة الأخلاق، محمد يوسف موسى، صـ١٠١، ١٠٢، بتصرف.

ومن هنا فضمير الإنسان يعلو درجة كلما تحرر من ربقة الرياء والسمعة وغيرهما إلى مراقبة الله تعالى في السر والعلن، ومن يدقق النظر يجد أن هذا النهج إنما هو منهج الأنبياء والصالحين الذين لا يخافون إلا الله، ولا يخشون أحدًا سواه. وهذا ما حدث بالفعل لنبي الله يوسف . . حينما قال القرآن على لسانه { مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ } [سورة يوسف: ٢٣]، فهذا هو الضمير اليقظ الذي نادى بأعلى صوته أن هذا الفعل المحرم الذي طلبته منه امرأة العزيز هو أمرٌ مخالف لشرع الله تعالى، ونبي الله يوسف . . يراه في نفسه أي في ضميره . شرًا، فالبعد عنه أولى.

**أنواع الضمير بحسب الكيف:**

علماء النفس فرقوا بين أنواع الضمير المختلفة بحسب الكيف(أي الإيجاب والسلب) وهي على النحو التالي:

١ – النوع الأول وهو الأكثر بدائية والأقل فاعلية ويتألف من مجموعة "النواهي" الفظة والقاسية وهي في أحسن حالاتها تعمل كطريقة كامنة بدون تفكر، وفي أسوأ حالاتها تكون غير متسقة داخليًا أو محبطة بدرجة يستحيل تتبعها.

٢– النوع الثاني من الضمير هو مسايرة الأحكام والقواعد، مع إعطاء وزن أساسي للسلطة التي لا تزال متمركزة في الناس المحيطين به.

٣– ويتألف النوع الثالث من الضمير من كيان منظم من القواعد الخلقية المتحولة إلى داخل الفرد التي تحتفظ باستقلالها الذاتي وهي لا تتأثر كثيرًا بما قد يقرره أشخاص آخرون كما لا تسمح لنفسها أن تسأل أو تختبر بواسطة الفحص، والتمحيص العاقل، وهي تؤلف معًا "الأنا الأعلى العصابي الطاغي"

٤– النوع الرابع من الضمير هو تلك المجموعة الراسخة من المبادئ الأخلاقية المعنوية المستوعبة داخل الفرد، التي يمكن أن تخضع للتساؤل والاختبار الرصين. [(١)]، ومن هنا، فالنوع الأول من أنواع الضمير يعمل بدون روية ولا

(١) علم نفس النمو من الجنين إلى الشيخوخة، عادل عز الدين الأشول، صـ ٤٣١، مكتبة الأنجلو المصرية.

فكر، بينما النوع الثاني يعمل مع تطبيق الأحكام مراعيا في ذلك سلطة القانون، وأما النوع الثالث فهو يعمل بالاستقلالية الذاتية ويراد بها عند علماء الأخلاق (الأنا) الأعلى، وأما النوع الرابع فهو يعمل بناء على تطبيق القواعد الأخلاقية الكامنة داخل الفرد مع خضوع هذا النوع للاختبار، وبهذا العرض السابق ذكره يمكن أن يكون الضمير قوياً رصينا وذلك في حالة طهارة النفس من الداخل والتحلي بمكارم الأخلاق الحميدة عندئذ يكون الضمير قويا.

**أهميـة الضمير الأخلاقي**

تظهر أهمية الضمير الإنساني في أنه الحاكم على النفس ولا عكس وذلك؛ لأنها تابعة له، كما يعده علماء الأخلاق بأنه مصدر من مصادر الإلزام ذلك؛ "لأن الإسلام –كما بينا– فيه حاسة أخلاقية يميز بها ما هو حسن وجميل من سلوك مما هو قبيح وضار. ومن ثم تطمئن النفس إلى السلوك الجميل وتقشعر من السلوك القبيح، ومن ثم يدفعه إلى الالتزام بالأول والابتعاد عن الثاني" [(١)] فالإنسان يفعل الخير ويطمئن إلى القدوم إليه وإلى فعله، كما يبتعد عن الشر وينفر منه، وكيف لا؟ وهو بمثابة سلطة ذاتية حاكمة على النفس بخلاف السلطات الخارجية "وذلك؛ لأن مذهب الضمير يرد أصل السلوك الخلقي في الفرد إلى نزاعات وأفكار ذاتية صادرة عنه من تلقاء نفسه، في حين يرجعها الأول . أي السلطات الخارجية . إلى أوامر قاهرة ليس لها من الضمير إلا أن الفرد يطبعها ويخضع لها لا بمعنى أن الفرد يدرك بمحض اختياره صحتها" [(٢)]، كما يوصف بأنه " محكمة عدل مباشرة لا تحتاج إلى شاهد ولا قاضٍ يخبرك بخيرية الفعل أو شريته قبل الفعل ويجزيك بالسرور إن كان فعلا حسنا وبالوخز والألم إن كان شرًا [(٣)] وعليه فضمير الإنسان هو الحاكم على الفعل سواء أكان خيرًا أم شرًا.

---

(١) علم الأخلاق الإسلامية، مقداد يالجن محمد علي (صـ ٢٣٥) دار عالم الكتب للطباعة والنشر – الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٣هـ– ١٩٩٢م.

(٢) المدخل إلى الفلسفة، أزفد كولبه / ترجمة دكتور / أبو العلا عفيفي، صـ ٣٠٢، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ٢٠١٦م

(٣) علم الأخلاق الإسلامية، مقداد يالجن صـ ٢٨١.

فالقلب إذا صفا ارتقى بصاحبه إلى درجة السمو الروحي الذي لا ينال إلا بالمجاهدة الروحية ويبلغ الإنسان درجة السعادة الروحية بأخلاقه الحميدة يقول الإمام الغزالي "فبالأخلاق الحسنة يبلغ درجة السعادة، وبالأخلاق السيئة هلاكه وخروجه للشقاء" (١)، كما أن القلب عند بعض فلاسفة الإسلام إنما يراد به (النفس)التي يراد بها معرفة الخير والشر وهي النفس اللوامة، فهذا هو المعلم الثاني (أبو نصرالفارابي) الذي يرجع (الفضائل والرذائل) إلى صحة ومرض النفس قياسا على صحة البدن وفساده.

يقول الفارابي "إن صحة النفس في أن تكون هيئاتها وهيئات أجزائها هيئات تفعل بها الخيرات والحسنات والأفعال الجميلة، أما مرضها في أن تكون هيئاتها وأجزاؤها تفعل الشرور والسيئات والأفعال القبيحة" (٢)

**وخلاصة القول في كل ما سبق:** أن الضمير الأخلاقي تظهر أهميته في أنه حاكم على النفس الإنسانية ولا يحتاج إلى قاض أو شهود أو غير ذلك ممن يتطلبه القضاة عند إطلاق أحكامهم، ومن هنا يتبين لنا أن الضمير يحرص كل الحرص في أن يجعل الإنسان دائما وأبدا في حالة المراقبة في السر والعلن بينه وبين خالقه جل وعلا.

**تأثير الوراثة والبيئة على السلوك والضمير:**

معلوم لدى علماء النفس أن البيئة والوراثة من أعظم الأمور التي تشكل السلوك الإنساني، فالبيئة إذا كانت صالحة فيعرف أصحابها ما لهم وما عليهم من القوانين والواجبات وسائر الحقوق الإنسانية، فهذا ينعكس إيجابيا على سلوك الإنسان، والعكس صحيح، إذا كانت البيئة غير سوية وغير صالحة ولا يعرف

(١) كيمياء السعادة، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) صـ ١٣١، مطبعة السعادة.

(٢) فلسفة الأخلاق عند الفارابي، دكتور / ناجي عباس التكرتي، صـ٤٩، عمان . دار دجلة، ٢٠١١م.

أهلها الحقوق والواجبات، فإن هذا ينعكس بصورة سلبية على السلوك الإنساني وذلك؛ "لأن الفرد في تفاعله مع غيره من أفراد الجماعة يأخذ ويعطي في ضوء المعايير والأدوار الاجتماعية، ويؤثر ذلك مع عوامل أخرى على نمو الشخصية لكل فرد، ومن هذه العوامل كما هو معروف: (الوراثة والغدد والغذاء والنضج والتعلم)، بالإضافة إلى متغيرات أخرى مثل: أعمار الوالدين وحجم الأسرة والترتيب الميلادي... إلخ." [1]، وعلى أية حال فإن الطفل منذ ولادته إلى نموه المعروف يتأثر بالبيئة والمحيط اللذين يعيش فيهما، وبالتالي ينكعس كل هذا على ضميره الذي يعد جانبا من جوانب الوراثة.

**العوامل التي تؤدي إلى إضعاف الضمير**

هناك عدة عوامل تكون سببا في إضعاف الضمير الإنساني يمكن عرضها فيما يلي:

**١ . البيئة الفاسدة:** ويراد بها المكان الذي تربى فيه الطفل أو نشأ فيه على الصفات والعادات القبيحة التي تعني عدم الالتزام بتعاليم الدين الإسلامي، والخروج بالإنسان عن فطرته السليمة وعلى ذلك، فإن الهدي النبوي يشير إلى أن أي مولود يولد على (الإسلام)، لكن يطرأ التغيير على الإنسان من الفطرة السليمة إلى الفطرة السقيمة أو المنحرفة، وذلك تبعا لديانة الوالدين، فلقد روى الإمام البخاري من حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله: **((مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ...))** [2]، وفي هذا البيان النبوي يوضح الرسول . . أن

---

(١) تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته، دكتور/ زكريا الشربينى–، دكتورة / يسرية صادق، صـ ١٩، الناشر: دار الفكر العربى.

(٢) أخرجه البخاري ك/ تفسير القرآن، باب {لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ} (الروم: ٣٠) ح (٤٧٧٥) ج(٦ / ١١٤)

الطفل يولد على الفطرة . "وهي الدين الحنيف غير أن الطفل يتأثر بسلوك الوالدين وبعوامل التربية والثقافة التي نشأ عليها . فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، وبذلك يضعفان أثر الفطرة التي ولد عليها، ويقويان فيه أثر الدين الذي يعلمانه وينشآنه عليه" (١)

ويتضح من خلال ما سبق ذكره أن البيئة الطيبة تجعل الإنسان يعيش فيها على الحب والخير والأمانة... إلخ الصفات النبيلة التي حث عليها الإسلام، وبهذا يكون الإنسان نافعاً لنفسه ولغيره ولا يتحقق هذا الأمر إلا إذا كان ذا خلق فاضل وضمير يقظ، أما إذا كانت البيئة فاسدة، فإنها بلا شك تكون سببا في ضعف الضمائر وتغيرها من وقت لآخر، وبالتالي تظهر الخيانة والكذب والفجور والانحلال في البيئة الفاسدة، وسينعكس هذا حتما على السلوك الإنساني.

**٢ . المنفعة الشخصية**

تعد المنفعة الشخصية من العوامل التي تضعف الضمير الإنساني، ومن ثم فإنها تنعكس على سلوك الإنسان من وقت لآخر، ولذلك فإن هناك نوعين من المنفعة أحدهما: منفعة عامة مشتركة بين الناس، والأخرى: منفعة شخصية.

فأما النوع الأول فعلماء الأخلاق قالوا عنه "فالصداقة بين الأحداث ومن كان في مثل طباعهم إنما تحدث لأجل اللذة، فهم يتصادقون سريعا ويتقاطعون سريعا، وربما اتفق ذلك بينهم في الزمان القليل مرارا كثيرة، وربما بقيت بقدر ثقتهم ببقاء اللذة ومعاودتها حالا بعد حال. فإذا انقطعت هذه الثقة بمعاودتها انقطعت الصداقة بالوقت وفي الحال..." (٢)

---

(١) الحديث النبوي وعلم النفس، د / محمد عثمان نجاتي، صـ٣٣، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.

(٢) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (المتوفى: ٤٢١هـ)، صـ ١٥١، حققه وشرح غريبه: ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة: الأولى.

وهكذا حال المصالح المشتركة والمنافع، فهي باقية ويبقى معها أثرها، كما أن ضمائر الحق يعلو صوتها ويبقى أثرها كلما كانت؛ لأنها تسعى في الخير المشترك، ويظهر لنا "أننا نلجأ إلى المنفعة باستمرار في جميع القرارات الأخلاقية التي تخص قيمة الأفعال وعدم قيمتها، وهذا هو المصدر الوحيد لهذا الاعتبار الذي يوجه إلى العدالة والأمانة والشرف والعفة... وهو لا ينفصل عن جميع الفضائل الاجتماعية الأخرى" (١)

وأما النوع الثاني فهو المنفعة الشخصية: فإذا كانت المنفعة شخصية فعند ذلك "تنقطع علاقة المنفعة بينهم وينقطع رجاؤهم من المنفعة المشتركة وتنقطع موداتهم. والصداقة بين الأخيار تكون لأجل الخير وسببها هو الخير"(٢) وهكذا كلما كانت المنفعة خاصة فإن الضمائر آنذاك تنعدم بل تنقضي وتزول؛ لأنها قائمة على حب الذات وحدها، ويجتمع فيها الأخيار مع الأشرار، وبهذا يعتريها النقصان والزوال وذلك "بسبب المنفعة واللذة فقد تكون بين الأشرار وبين الأخيار والأشرار. إلا أنها تنقضي وتنحل مع تقضي المنافع واللذائذ؛ لأنها عرضية وكثيرا ما تحدث بالاجتماعات في المواضع الغريبة. إلا أنها تزول بزوال المواضع كالسفينة وما جرى مجراها." (٣)

وخلاصة القول فيما سبق أن الضمير الإنساني هو القاسم المشترك بين الأنواع البشرية بغض النظر عن المعتقد، ومن ثم فهي واضحة وضوح الشمس في وسط النهار لا يختلف عليها اثنان.

**٣ . العواطف والانفعالات والجهل**

تعد العواطف والانفعالات من العوامل التي تضعف الضمير الإنساني من وقت لآخر، وذلك لأن "الضمير يستمر ليكون مصدرًا للذنب والقلق حتى لدى

---

(١) الأخلاق عند هيوم، د / محمد سيد أحمد، صـ٨٩، دار الثقافة للنشر، ١٩٩٢م..

(٢) تهذيب الأخلاق، ابن مسكويه، صـ ١٥١.

(٣) المصدر السابق نفسه، صـ ١٥٣

الأطفال الأسوياء، إلا أنه يقل تحريكه للاضطرابات السلوكية" [١]ومن ثم فكلما كثرت الاضطرابات السلوكية والانفعالات كلما قل الضمير ويكون الضمير في هذه الحالة مصدراً للقلق.، ومن هنا فالضمير الإنساني يختلف من فرد إلى آخر وهذا الاختلاف بحسب الكيف، وقد تكلم علماء النفس عن هذه الأنواع باعتبار أن الضمير مستمد من الوراثة الاجتماعية أو البيئة التي يعيش فيها الفرد، والعواطف الإنسانية لها علاقة باتجاهات الضمير الإنساني.

"فقد ينبعث الضمير والغواية من (اتجاهاتنا) أيضاً؛ لأن العواطف تصطرع مع الاستعدادات أحياناً... فقد يستغوى القضاة الرحماء، وهم آسفون، إلى تبرئة سجين تعس ثبتت عليه تهمة القتل، وقد تؤنبنا اتجاهاتنا في وقت من أوقات الحياة على ما قمنا به طائعين مختارين" [٢] وعليه فإن العواطف لها دور عظيم في تبرئة المخطيء والحكم على البريء، وبالتالي يأخذ ما يسمى بوخز الضمير مجراه في حياة الإنسان..

وخلاصة القول في كل ما سبق: أن العوامل التي تضعف الضمير الإنساني وتكون سببا في إماتته تتمثل في (البيئة، والمصلحة الشخصية، والعواطف والانفعالات) وقد يتجنبها الإنسان وذلك حينما يسير على المنهج الأخلاقي الحكيم الذي يدعو إلى (التعاون، والتآلف، وحب الآخرين) وهذه الأخلاقيات الحميدة تكون سببا رئيسيا في يقظة الضمير الإنساني.

(١) علم نفس النمو من الجنين إلى الشيخوخة، عادل عز الدين الأشول، صـ٤٢٦.

(٢)علم النفس والأخلاق، ج. أ . هادفليد، ترجمه محمد عبد الحميد أبو العزم، راجعه د/ عبد العزيز القوصي، صـ ٥٣، دار المعارف العمومية، مكتبة ت مصر.

## المبحث الثاني

## الأسس الأخلاقية والسلوكية لبناء الضمير الإنساني

مما لا مجال فيه للشك أن الدوافع الأخلاقية والسلوكية لها الأثر البالغ في بناء شخصية المسلم، والذي يدل على ذلك أن هناك دوافعا إيجابية هدفها البناء والتقدم والرقي بالإنسان إلى درجة الملائكة، ودوافع أخرى هدفها الهدم والركون إلى الشهوات والملذات التي تجعل الإنسان ينام في حضيض الشهوات وتجعله في درجة انحطاط. أي نزول عن درجة أحط من البهائم، ومن هنا فالإسلام مبني على قواعد ثلاث: هي(العقيدة، والشريعة، والأخلاق)، هذه القواعد الثلاث متلازمة لا ينفك أحدها عن الآخر، فالعلاقة بينها تلازمية، لذلك فإن العقيدة هي الأصل وما عداها إنما يعد فرعا متعلقا بها لا يمكن أن ينفرد بنفسه إذ هو بمنأى عن تحقق مراده.، ولقد تحدث علماء الأخلاق عن الأسس التي يؤسس عليها الضمير الإنساني وهذه الأسس عبارة عن قواعد أساسية يقوم عليها الضمير الإنساني لا يمكن الاستغناء عنها.

**السلوك ومعناه:**

ويقصد به "السيرة، والمذهب، والاتجاه، تقول: فلان حسن السلوك، أو سيّئ السلوك، وعلم السلوك عند القدماء هو معرفة النفس ما لها وما عليها، ويسمّى بعلم الأخلاق. وموضوعه أخلاق النفس، والبحث عن عوارضها الذاتيّة لمعرفة الطريق التي يجب سلوكها، ومنه قولهم: آداب السلوك."[1] وعليه فالسلوك هو معرفة النفس وهي التي عنون الفلاسفة لها في ثنايا كتبهم مبحثا خاصا بها؛ لما لها من الأهمية بمكان في الفكر الإسلامي عامة والفكر الفلسفي على وجه الخصوص، ومن هنا فالسلوك الإنساني له مكانة عريقة في علم الأخلاق.

(١) المعجم الفلسفي، دكتور جميل صليبا (١/ ٦٧١)

يقول (صاحب كتاب قصة الفلسفة) "إن السلوك الإنساني يجري من منابيع ثلاثة رئيسية وهي: الرغبة والعاطفة، والمعرفة. إن الرغبة والشهوة والباعث أمر واحد، والعاطفة والروح والطموح والشجاعة أمر واحد، والمعرفة والفكر والذكاء والعقل أمر واحد" (١)

**الفرق بين السلوك والخلق**

يفرق علماء الأخلاق بين السلوك والخلق، فالخلق هو "حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية." (٢) بينما السلوك يراد به "الحيز المحيط بالذات من حيث إنها مصدر السلوك الذي تظهر فيه آثار قوى هذه الذات من حيث إنها تحتك ببيئة خارجية تؤثر وتتأثر بها" (٣)

ونلحظ أن الفرق بين (الخلق والسلوك) أن الخلق يرجع إلى الفطرة السليمة التي جبل عليها الإنسان ومن ثم فهو شيء باطني، بينما السلوك يحتاج من الإنسان إلى جهد بشري وإرادة حتى تظهر فيه آثار هذه القوى على الذات وذلك من خلال البيئة أو المحيط الذي يعيش فيهما الإنسان.

**العلاقة بين الخلق والسلوك:**

من يتأمل العلاقة بين الخلق والسلوك يجد أنها علاقة (التابع بمتبوعه) أوعلاقة (الدال بالمدلول)، ومن ثم إذا كان الخلق حسناً، فإنه يترتب عليه كون السلوك حسنا؛ لأن الخلق كالأصل والسلوك كالفرع وعلى هذا تتضح العلاقة بينهما "فهي علاقة الدال بالمدلول، فإذا كان السلوك حسنًا دل ذلك على خلق حسن، وإن كان سيئًا دل على خلق قبيح، ومن هذا التلازم بينهما نستطيع أن نتنبأ غالبًا

(١) قصة الفلسفة، دول ديورانت، صـ ٣١، ترجمة، فتح الله محمد المشعشع، دار المعارف، الطبعة السادسة، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

(٢) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ابن مسكويه، صـ٤١.

(٣) معجم المصطلحات النفسية والتربوية، د / محمد مصطفى زيدان، صـ٣٢٥، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

بأعمال المرء متى علمنا خلقه، كما نستطيع أن نعرف أخلاقه من أعماله" [١] ومن هنا فعملية السلوك لا تتوقف على الخلق فحسب بل تمتد فتشمل الحالة الاجتماعية والنفسية من مرض وخوف وجوع وغير ذلك، "فالواقع أن السلوك يتوقف أيضًا على الظروف والملابسات التي تحيط بالإنسان، من صحة أو مرض، وجاه أو ضعة، وصيت أو خمول، وغنى أو فقر، ونحو ذلك من الأحوال المختلفة" [٢]

**السلوك عند علماء النفس**

السلوك عند علماء الأخلاق له دلالته الخاصة به، وله أيضاً مفهومه الخاص به عند علماء النفس، ومدلول السلوك عندهم يتضمن البواعث والدوافع التي تكون سببا في صدور السلوك الإنساني، ومعناه "كل ما يقوم به الإنسان من أعمال ونشاط تكون صادرة عن بواعث أو دوافع" [٣]، فالباعث والدافع هما من الأسباب الرئيسية في السلوك، وعليه فإن علماء النفس قد حصروا للسلوك الإنساني عدة محركات.

**محركات السلوك الإنساني**

هناك محركات للسلوك الإنساني، قد تكون قبل أو بعد أو أثناء الفعل، وهذه المحركات تتضمن مجموعات ثلاث هي:

١. ما يدركه ويحسه الفرد قبل أن يقدم على عمل ما مباشرة...

٢. ما يجري في ذهنه قبل فترة طويلة من الفعل....

٣. ما يعلق عليه في المستقبل من أهداف ونتائج إذا ما قام بالفعل..."[٤]، وإذا كان للسلوك الإنساني دور كبير في معرفة النفس

---

(١) مباحث في فلسفة الأخلاق، محمد يوسف موسى، صـ٧٤.

(٢) مباحث في فلسفة الأخلاق، محمد يوسف موسى، صـ٧٤.

(٣) الدوافع النفسية، د / مصطفى فهمي، صـ١٥، دار مصر للطباعة، الطبعة الأولى ١٩٥١م

(٤) السلوك الإنساني، الحقيقة والخيال، د / فخري الدباغ، صـ ٣٢، الكتاب الثاني عشر، ١٥ يوليو ١٩٨٦م.

الإنسانية ما لها، وما عليها من الحقوق والواجبات، فإن هناك قوة تدفع الإنسان باعتبار أنه خير مخلوق على وجه الأرض؛ لما له من مكانة التكريم الإلهي من لدن حكيم عليم، فإن القوة التي تدفع هذا الكائن لفعل الفضيلة والبعد عن الرذيلة تسمى بالإلزام الخلقي.، والمسئولية الخلقية.

**أولا: الإلزام الخلقي وعلاقته بالضمير الإنساني**

تعد فكرة الإلزام الخلقي بمثابة وازع ديني أو قانوني يجعل الإنسان يتوقف عند القدوم على الفضيلة أو الرذيلة فيثاب على الأولى ويعاقب على الثانية باعتبار ما يترتب على الأولى من نفع وعلى الثانية من ضرر فكل ذلك يسمى بالإلزام الخلقي.

**الإلزام الخلقي**

الالزام في اللغة يطلق على الدوام وما يجب على الإنسان فعله يقال "لزم الشيء يلزمه لزما ولزوما ولازمه ملازمة ولزاما والتزمه وألزمه إياه فالتزمه. ورجل لزمة: يلزم الشيء فلا يفارقه" (١)

**وفي الاصطلاح:** يعرف بأنه "ما ينبغي فعله دون قسر يصدر عن طبيعة الإنسان من حيث هو كائن قادر على الاختيار بين الخير والشر"(٢)، ومن خلال التعريفين السابقين لمصطلح الالزام الخلقي يتبين أنه يراد منه الإرادة وعدم الاجبار على فعل شيء (ما) ولا يتقيد . أي . الالزام بأي حال من الأحوال وذلك؛ لأنه ينشأ عن طبيعة العمل الخلقي وحينئذ يكون الالزام أمرا ضروريا. كما أنه ينشأ عن طبيعة الإنسان ذاته من حيث إن فيه (القدرة والاختيار)، ومن حيث ارتباطه تمام الارتباط بعلم الأخلاق.

---

(١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) (١٢/ ٥٤١)، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ

(٢) المعجم الفلسفي، مراد وهبة، صـ ٨٤، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر سنة ٢٠٠٧م

يقول الدكتور دراز عن الالزام "يستند أي مذهب أخلاقي جدير بهذا الاسم – في نهاية الأمر– على فكرة الإلزام، فهو القاعدة الأساسية، والمدار، والعنصر النووي الذي يدور حوله كل النظام الأخلاقي، والذي يؤدي فقده إلى سحق جوهر الحكمة العملية ذاته؛ وفناء ماهيتها؛ ذلك أنه إذا لم يعد هناك إلزام فلن تكون هناك مسئولية، وإذا عدمت المسئولية، فلا يمكن أن تعود العدالة؛ وحينئذ تتفشى الفوضى، ويفسد النظام، وتعم الهمجية، لا في مجال الواقع فحسب، بل في مجال القانون أيضًا" (١)

فكل النظام الأخلاقي قائم على ما يسمى بالوازع الديني الذي يسمى بالضمير الإنساني فهو الجزء غير المرئي بل هو قسيم للقوة العاقلة وهذا ما نبه عنه القرآن الكريم. فكلما وجد الالزام وجد معه الانضباط والالتزام بالقوانين سواء أكانت سماوية، أم قوانين وضعية، وكلما انعدم الالزام الخلقي انعدم معه الضمير الأخلاقي وانتشرت الفوضى وعم الفساد والبلوى.

يقول الدكتور/ طه حبيش رَحِمَهُ ٱللَّهُ "والقرآن الكريم لم يشأ أن يأخذ الإنسان بالتركيز على عقله فقط حيث إن الإنسان نفسه لم يكن يعتمد في كل تصرفاته على القوة العاقلة، فما القوة العاقلة لديه إلا شريكة أو قسيمة لقوى أخرى تشترك جميعها وتتضافر في الجزء غير المرئي من الإنسان، غير أنه من الحقيقي هنا أن نؤكد أن القرآن الكريم حين يتجه بنا إلى القوى الأخرى التي تندرج تحت النفس الإنسانية فإنما يتوجه بها إلينا تحت رعاية من العقل الذي يوجهها نحو الخير الأسمى" (٢)

---

(١)دستور الأخلاق في القرآن، محمد بن عبد الله دراز (المتوفى: ١٣٧٧هـ) (صـ٢١) مؤسسة الرسالة، الطبعة: العاشرة ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م

(٢) الأخلاق في إطار النظرة التطويرية، أ. د / طه حبيشي، صـ٩٣، مكتبة الإيمان، الطبعة الأولى ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م.

**الإلزام دعامة من دعائم الأخلاق:**

يعتبر الإلزام الخلقي دعامة أساسية من دعائم العمل الأخلاقي، ومن ثم لا ينبغي أن يتغافل عنه الإنسان بل هو المحرك أو المثير لحركة الإنسان "فهو الكائن الوحيد الذي يتمتع بكامل القدرة على التصرف وفقا لتصوره للقوانين وتعقله للقانون لا بفرض القانون الأخلاقي نفسه على الإرادة بل هو يتخذ طابع الإلزام" (١) ويتمتع الإنسان أيضا بالإرادة التي هي صفة ترجيح بل هي الغاية التي تجعل الإنسان يفعل أو لا يفعل، وعليه "فالباعث على فعل الواجب لا يقوم فقط في الرغبة في تحقيق غاية، إن الباعث يقوم في الإرادة نفسها ويجب أن يكون صوريا هو مجرد قانون صوري لا يستقصى الواقع ولا يستمد من التجربة، ومن ثم كان عاما مطلقاً وتيسر للإنسان أن يجعل قاعدة تصرفه قانوناً في كل زمان ومكان" (٢)

ويظهر من خلال ما سبق أن (القانون) يسمى في علم الأخلاق بالإلزام. وهو دعامة من دعائم الأخلاق.، كما يظهرأن الوازع الخلقي المسمى بالضمير الإنساني بمثابة رقيب على أفعال الإنسان، وقد يكون الرقيب قوة ظاهرة مثل: (الحواس الخمس) المعروفة، وقد يكون الرقيب قوة باطنة، فأصحاب العقول السليمة يمارسونها في حياتهم " وإذا لم يكن كل الناس يمارسون هذا التأثير على أنفسهم فإن منهم من يفعله بتوفيق الله له، وهو ما قرره رسول الله – في قوله: **((إذا أراد الله بعبد خيرًا جعل له واعظًا من نفسه، يأمره وينهاه))** (٣) ففي الإنسان إذن قوة

---

(١) فلسفة الأخلاق، د / مصطفى عبده، صـ٦٤، مكتبة مدبولي . القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م.

(٢) فلسفة الأخلاق . نشأتها وتطورها، د / توفيق الطويل، صـ ٤٠٧، دار النهضة، ط٤، ١٩٧٩م

(٣) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير وزيادته (ص: ١٣٤٣)، كما في مسند الفردوس للديلمي، عَن أم سلمة، إذا أَرَادَ الله بِعَبْدٍ خَيْراً جَعَلَ لَهُ واعِظاً مِنْ نَفْسِهِ يَأمُرُهُ وَيَنْهاهُوذكره ابن السبكي في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (٥/ ٢٣٥٩) وقال ابن السبكي: (٣٧٦/٦) لم أجد له إسناداً.

باطنة، لا تقتصر على نصحه، وهدايته وحسب، بل إنها توجه إليه بالمعنى الصريح أوامر بأن يفعل، أو لا يفعل"[١] فهذه القوة الباطنة تجعل الإنسان يميل إلى الخير؛ لأنه مجبول على الخير والشر عارض له قال تعالى { وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ} [سورة البلد: ١٠]، ويبين(الطاهر بن عاشور) العلة في كونهما "نجدين؛ لصعوبة اتباع أحدهما وهو الخير فغلب على الطريقين، أو؛ لأن كل واحد صعب باعتبار، فطريق الخير صعوبته في سلوكه، وطريق الشر صعوبته في عواقبه" [٢]

ونجد (ابن مسكويه) قد قسم النفوس إلى ثلاثة أقسام فأعلاها "وأشرفها النفس الناطقة. والإنسان إنما صار إنسانا بأفضل هذه النفوس أعني الناطقة وبها شارك الملائكة وبها باين البهائم. فأشرف الناس من كان حظه من هذه النفس أكثر وانصرافه إليها أتم وأوفر" [٣]

ومن هنا فطريق الخير والشر فيهما صعوبات، فيرتقي الإنسان الخير في السلم الأخلاقي حتى تصير الفضيلة عنده إلفا لا يمكن الاستغناء عنها بأي حال من الأحوال، ويُسألَ الإنسان عن جميع أفعاله وبما قدمت يداه ويسمى هذا (بالمسئولية الأخلاقية) فما المراد منها؟

**ثانيا: المسئولية الأخلاقية وعلاقتها بالضمير الإنساني**

ويراد بها "المسئولية الناشئة عن إلزامية القانون الأخلاقي، وعن كون الفاعل ذا إرادة حرة" [٤] وعليه فالإرادة تعني العزم على فعل الشيء ويقصد بها في العمل الخلقي (النية) وتعني "تحمل الشخص نتيجة التزاماته وقراراته واختياراته العملية من

(١) دستور الأخلاق في القرآن، د /محمد بن عبد الله دراز، صـ٢٧

(٢) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) (٣٥٥/٣٠) الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ

(٣) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ابن مسكويه، صـ٥٦.

(٤) المعجم الفلسفي، دكتور جميل صليبا (٢/ ٣٧٠)

الناحية الإيجابية والسلبية أمام الله في الدرجة الأولى وأمام ضميره في الدرجة الثانية وأمام المجتمع في الدرجة الثالثة" (١)، فالإرادة والعزم من الأمور التي تجعل الفرد يحاسب على أعماله وعليه فكل إنسان مسئول عن أفعاله ما دام مكلفا، وتكون المسئولية عند عمل الفعل أو تركه.

**المسئولية في القرآن الكريم.**

لقد جاء مضمون المسئولية في القرآن الكريم جليا في قول الله تعالى: { إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا } [سورة الأحزاب: ٧٢] فهذا النص القرآني السابق يوضح أن المسئولية تعني(الأمانة) وهي كلمة شاملة إذن فهي مهمة صعبة ولابد من السؤال عنها أمام الخالق جل وعلا، ففي الآية السابقة بين الله تعالى عظم "التكاليف الشرعية وصعوبة أمرها بطريق التمثيل مع الإيذان بأن ما صدر عنهم من الطاعة وتركها صدر عنهم بعد القبول والالتزام وعبر عنها بالأمانة تنبيها على أنها حقوق مرعية أودعها الله تعالى للمكلفين وأئتمنهم عليها، وأوجب عليهم تلقيها بحسن الطاعة والانقياد، وأمرهم بمراعاتها والمحافظة عليها وأدائها من غير إخلال بشيء من حقوقها" (٢)

ومن هنا فعمل الخير سيجازى عليه الإنسان، وعمل الشر سيعاقب عليه؛ لأن الانقياد للطاعة إنما يعني المحافظة على هذه الأمانة التي تعني المسئولية كما أن عدم المحافظة عليها يعني عدم الإذعان والانقياد للتكليف الإلهي، ومن يدقق النظر يجد أن هناك فرقا بين المسئولية القانونية، والمسئولية الأخلاقية أعني (الضمير).

---

(١) علم الأخلاق الإسلامية، مقداد يالجن، صـ ٢٥٢.

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) (٧ / ١١٨) دار إحياء التراث العربي – بيروت.

يقول الدكتور أحمد أمين "فالإنسان إذا خالف قانون البلاد كان مسئولا أمام القضاء وعوقب من أجل مخالفته، إذا خالف أوامر الأخلاق كان مسئولا أمام الله وأمام ضميره" (١)، كما "يعطي (فرويد) أهمية كبرى لنمو الضمير في نضج الفرد، فالفرد يظل غير ناضج حتى يصبح لديه ذوق جيد ويطيع القانون ويحترم حقوق الآخرين ويشعر بالواجب" (٢).

**المسئولية في السنة النبوية**

لقد حثت السنة النبوية على المسئولية الأخلاقية في كثير من الأحاديث الصحيحة، فقد جاء في صحيح الإمام البخاري من حديث عبد الله بن عمر أنه سمع رسول الله يقول((**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»، قَالَ: فَسَمِعْتُ هَؤُلاَءِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، وَأَحْسِبُ النَّبِيَّ قَالَ: «وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**))(٣)، والمسئولية المشار إليها في الحديث سالف الذكر تأتي بقدر الطاقة البشرية؛ لأننا نجد تفاوتا فيها "فمسئولية الحاكم غير مسئولية المحكومين، وما يطلب من الغني لا يطلب من الفقير، وتكليف العالم غير تكليف الجاهل ومن هنا قيل: أن الطرق التي توصل إلى الله بعدد أنفاس الخلائق، أي أن السبيل إليه سبحانه سهلة يسيرة، وآمنة لا هول فيها ولا خوف، يستطيع أن يسلكها كل فرد، ما دام الله لا يكلف نفسا إلا وسعها" (٤).

---

(١) كتاب الأخلاق، أحمد أمين، صـ١٣.

(٢)علم نفس النمو، حسن مصطفى عبد المعطي، هدى محمد قناوي(٢ / ٣٨٨)

(٣) أخرجه البخاري (كتاب في الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس)، العبد راع في مال سيده، ولا يعمل إلا بإذنه، ح (٢٤٠٩) (٣/ ١٢٠)

(٤) الإسلام والعقل، محمد جواد مغنية، صـ١٣٤، دار ومكتبة الهلال . بيروت . لبنان، ١٩٩١م.

ومن خلال هذا العرض السابق للمسئولية الخلقية في القرآن والسنة يتبين أن الضمير الخلقي يستيقظ من غفلته مرة تلو الأخرى باعتبار أنه سيسأل عن كل شيء في حياته، وكذلك سيجازى صاحبه عن كل شيء يفعله، وبالتالي يكون صاحبه من الذين يحاسبون أنفسهم مرة بعد أخرى، حتى يصبح الضمير الخلقي غريزة مركوزة في عقل الإنسان العاقل الذي يطبق الأخلاق تطبيقا عمليا، وبهذا ينال صاحبه السعادة في الدارين.

**ثالثا: الجزاء الأخلاقي وعلاقته بالضمير الإنساني**

يعرف الجزاء صاحب كتاب المعجم الفلسفي بقوله "جزاء الضمير أو الجزاء الداخلي، وهو الرضا، والاطمئنان، أو الندم، وتأنيب الضمير، و(جزاء الآخرة)، وهو العقاب والثواب اللذان أعدهما الله لعباده في الحياة الثانية" (١).

جاء في كتاب الأخلاق النظرية للدكتور/ عبد الرحمن بدوي "أن تأنيب الضمير (أو الندم) يتم عن الضمير وهو يحكم ويدين أنه الشعور الانفعالي والصاحب للوم الضمير، وليس بصحيح ما يزعمه (دارون) والدارونيون من أن الندم من الناحية التكوينية هو صدى لمشاعر عقاب سابقة، وأنه حين صار شبه طبيعة حين من تحمل نتائج الفعل وهو في الوقت نفسه ضعف للتذكر يفيد النوع البشري إنه لا يشير إذن إلى حاكم إلهي بل هو بالأحرى يشير إلى شرطة باطنة وجدت بالأمس" (٢)

وعليه فالجزاء قد يكون دنيويا، وقد يكون أخرويا وبهذا يصبح الضمير الإنساني بين جانبين من خلالهما يعرف ما له وما عليه حتى تستقيم الحياة، ومن هنا "فالجزاء الإلهي ينقسم... بحسب النوع إلى ثواب وعقاب فالثواب في حالة الاستقامة والعقاب في حالة الانحراف" (٣)

---

(١) المعجم الفلسفي د / جميل صليبا، (١ / ٣٩٩)

(٢) الأخلاق النظرية، د/ عبد الرحمن بدوي، صـ ٨٤، ٨٥.

(٣)علم الأخلاق الإسلامية، مقداد يالجن محمد علي صـ٢٦٨.

ومن هنا فهناك مجتمعات تعيش وكأنها في غابة يأكل القوي فيها الضعيف، ولا تجد قانونا يحكمها، فهم في مأوي بعيد عن الحقيقة بل وعن الغاية التي خلقوا من أجلها فضمائرهم قد ماتت وقست فهي كالحجارة أو أشد قسوة، وذلك لغيابها عن المنهج الوسطي الذي ينظم حياة الفرد منذ ولادته إلى موته، وهناك آيات قرآنية توضح (الجزاء) سواء في أكان الدنيا أم في الآخرة؛ ليكون الإنسان على بينة من أمره.

**أولا: الجزاء الإلهي في الدنيا**

يقع الجزاء الإلهي بالفعل في هذه الدار التي نعيش فيها ويترتب على هذا الجزاء رضا الله تعالى في العاجلة، ونيل الثواب في دار الآخرة دون أن يكون للحس الخلقي اعتبار، "وإذا استبعدنا الحس الخلقي ولم نعتبر سوى الجزاء الإلهي، كانت أفعالنا صادرة عن إغراء الثواب أو خوف العقاب لا عن الشعور بالواجب، وأما أن الحس الخلقي لا يرجع إلى اعتبار النفع الاجتماعي، فدليله أننا لا نقدر سوى الأفعال النزيهة، فنحتقر الخائن لوطنه ولو كان نافعًا لوطننا، ونكبر العدو الكريم." (١)

ويتضح أن الجزاء الإلهي هو الفيصل في هذه القضية دون الحس الخلقي وذلك؛ لأن قوانين البشر يعتريها النقص وعدم الكمال بخلاف القانون الإلهي الذي يحتوي على العدالة الإلهية المطلقة.

وعليه فهو سبحانه يعطي الثواب الجزيل لمن بادر بفعل الخير وسارع إليه فينال الفرج القريب والعاجل في الدنيا، ويلحظ أن "الموضع الوحيد الذي ينشئ وعدًا ببعض الخير العاجل... فإنه الموضع الوحيد الذي يحتوي في الظاهر عنصرًا ماديًّا قد جاء على هذا النحو في قوله تعالى: {وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ} [سورة الطلاق:٢-٣]، والقول الثاني في نفس السورة أقل من هذا

(١)تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف بطرس كرم (المتوفى: ١٩٥٩ م) صـ ١٥٩، مكتبة الدراسات الفلسفية، الطبعة: الخامسة.

تحديدًا – أعني تضمنًا للجانب المادي، وهو قوله تعالى: {وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا} [سورة الطلاق:٤][1] ومن خلال الآيات سالفة الذكر من سورة الطلاق يظهر أن الجزاء من جنس العمل. سواء أكان العمل دنيويا أم أخرويا.

**ثانياً: الجزاء الإلهي في الآخرة**

الضمير الإنساني من شأنه أن يعاتب صاحبه ولا يعاقبه، بل العقاب يأتي من قوة خفية قادرة على الخلق والإيجاد والعدم، مريدة وعالمة بما يحدث الآن وما حدث بالفعل أو القوة، وما سيحدث بعد الآن كل هذا في علمه المحيط "وبالتالي، فإن الدين وحده العاصم، ولا سلطان فوق سلطانه، أما الضمير فهو أشبه بالناصح الذي لا يملك نفعا ولا ضرا، ومن ثم فإذا كان الضمير وازعا من الداخل، والسجن أو المشنقة وازعا من الخارج، فإن الإيمان بالله واليوم الآخر يجمع بين الاثنين بحيث لا يستطيع المؤمن التهرب منهما بحال، ويبقى شاعرا بالمسئولية، خائفا من عقاب الله، حتى ولو اختفى بجريمته عن أعين الناس، أو أمن العقوبة في الدنيا، إذ إنه لا مفر له من حكم الله وسلطانه" [2]، بل إن القانون الإلهي هو السبب في سعادة المرء سعادة أبدية وهذا ما اتفق عليه فلاسفة عصر النهضة مع (جون لوك) في حصول الإنسان على السعادة الروحية عند خضوعه للقانون الإلهي.

يقول صاحب كتاب (الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم) "إن مما يسبب السعادة الروحية التي توحي له بنيل السعادة الأبدية في العالم الآخر فهي الخضوع التام لما يمليه على العقل من طاعة القانون الإلهي الذي وضعه الله للإنسان قبل أن يوجد على الأرض واتفق مع لوك فلاسفة عصر النهضة (ديكارت، وبسكال، وليبنتز في إمكان أن يحيي الإنسان حياة سعيدة وأبدية في العالم الآخر" [3]

---

(١) دستور الأخلاق في القرآن، د/ محمد عبد الله دراز، صـ٣٤٥.

(٢) الإسلام والعقل، محمد جواد مغنية، صـ١٣٦.

(٣) نقلاً عن كتاب الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، د / إبراهيم مصطفى، صـ٢٨٧، دار الوفاء . الأسكندرية.

ولذلك فإن الجزاء الأخروي يناله الإنسان في الآخرة أمام المحكمة الإلهية التي لا ظلم فيها ولا جور، فالحاكم فيها هو الله جل جلاله، ومن هنا فتتفاوت مراتب النعيم الأخروى من درجة إلى درجة أعلى منها، وهذا هو الوعد الإلهي الذي لا يتخلف.

"فقد أعلن للصالحين: البشرى في قول الله تعالى{ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ } [سورة يونس:٦٤]، والأمل والرجاء: { وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ } [سورة النساء:١٠٤]، والوعد الحسن:{ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ } [سورة النساء:٩٥]، والفوز:{إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ } [سورة المؤمنون:١١١]، والفضل الكبير:{ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا } [سورة الأحزاب:٤٧][(١)]

وعليه فإن منهج الإسلام قد " ربط مصير الإنسان من حيث السعادة والشقاوة في الحياة الدنيا والآخرة بالعمل الأخلاقي، فنتيجة الأخلاق الحسنة السعادة في الحياتين ونتيجة الأخلاق السيئة الشقاوة والتعاسة في الدارين معا. [(٢)]

وقد أكد (أبو نصر الفارابي) على أن السعادة هي التي يحصل عليها الإنسان من خلال تكسبه بل هي غاية كل خير "فالسعادة عنده هي غاية ما يتشوقها كل إنسان، وأن كل ما ينحو بسعيه نحوها فإنما ينحوها على أنها كمال (ما) فذلك مما لا يحتاج في بيانه على قول إذا كان في غاية الشهرة وكل كمال وكل غاية يتشوقها الإنسان فإنما يتشوقها على أنها خير ما" [(٣)]

---

(١) دستور الأخلاق في القرآن، د/ محمد عبد الله دراز، صـ٣٦٤.

(٢) علم الأخلاق الإسلامية، مقداد يالجن محمد علي، صـ٢٨٨

(٣) التنبيه على سبيل السعادة، للفارابي، دراسة وتحقيق د / سحبان خليفات، صـ١٧٧، الطبعة الأولى . عمان . ١٩٨٧م

وخلاصة القول: أن الجزاء الأخروي الذي أعده الله تعالى لعباده سواء أكان ثوابا أم عقابا، فإنه يترتب عليه السعادة، والشقاوة في الدنيا والآخرة، وأيضا يعالج الإنسان ضميره من هواجس السوء وشطحات النفس وتقلباتها من وقت لآخر؛ لذلك قال القرآن الكريم { وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ } [سورة فاطر: ١٨].

ومن هذا المنطلق فقد لعب الضمير الإنساني دورا بارزاً في بيان سماحة الإسلام مع الآخر سواء في السلم أم في الحرب معا، كل ذلك يؤكد مدى أهمية الضمير باعتباره الناصح الأمين لكل أفعال الإنسان، بل هو الدافع المباشر لكل أفعال الخير التي يترتب على فعلها الفوز بالدارين الدنيا والآخرة، والبعد عن الرذيلة بكل المقاييس، وعلي ذلك "فالرياضة الخلقية لا تقوم إلا في صراع ضد الشهوات والميول الطبيعية، وتهدف إلى التغلب عليها في الأحوال المهددة للأخلاقية وتبعا لذلك فإنها لا تجعل المرء شجاعا ومسرورا في شعوره باسترداده لحريته" (١)

وإذا كان للضمير الإنساني دور بارز في بيان ما يتحصل عليه الإنسان، فإن هناك أسسا لهذا الضمير قد ذكرناها آنفا ليكون القاريء على بينة من أمره، وهذه الأسس الخلقية هي بمثابة دوافع أخلاقية تدفع الإنسان إلى الخير وتنهاه عن الشر وهذا هو الغاية من علم الأخلاق الإسلامية.

(١) أمانويل كنت، الأخلاق عند كنت، د/ عبد الرحمن بدوي، صـ٢٢٨، ٢٢٩، وكالة المطبوعات . الكويت.

## المبحث الثالث

## الدوافع الأخلاقية للضمير الإنساني في السلم

مما لا مجال فيه للشك أن الإسلام هو دين (السلم والسلام) وهذا ظاهر من آي الذكر الحكيم، وقد حث الرسول، ـ أتباعه إلى أن يطبقوا قواعد الدين على أنفسهم ونهاهم عن التفرقة وحذرهم من الاختلاف؛ لأنه سبب الفتن التي تظهر من وقت لآخر، وعليه فهناك دوافع أخلاقية لاستقرار حياة الناس على وجه المعمورة فيعيش الناس في أمن وأمان بغض النظر عن معتقد كل إنسان منهم.

**الدافع**

**أولاً في اللغة:** جاء في لسان العرب أن كلمة الدافع معناها: "الإزالة بقوة. دفعه يدفعه دفعا ودفاعا ودافعه ودفعه فاندفع وتدفع وتدافع، وتدافعوا الشيء: دفعه كل واحد منهم عن صاحبه، وتدافع القوم أي دفع بعضهم بعضا. ورجل دفاع ومدفع: شديد الدفع. وركن مدفع: قوي. ودفع فلان إلى فلان شيئا ودفع عنه الشر على المثل"[١]

**ثانياً: في الاصطلاح**: عبارة عن حركة الشيء أو الدافع لحركته "يقال كل شيء فهو متحرك أو محرك، أي متحرك من جهة ما هو متغير، ومحرك من جهة ما هو علة للتغير. فالدافع اذن مبدأ الفعل والتغير" [٢].

ومن هنا فالدافع يراد به القوة النفسية التي توجه الإنسان إلى فعل الخير الذي غايته رضا الله تعالى والبعد عن كل شر غايته سخط الله تعالى، فهو مبدأ التغير في الإنسان، وقد كان النبي . خير مثال لدفع الناس ودعوتهم من عبادة العبيد إلى عبادة الله رب العالمين، ففي العهد المكي جاءت الدعوة النبوية ودعت أتباعها إلى مكارم الأخلاق والتمسك بالعقيدة السليمة التي تنفي عن الباريءالشريك والند والمثيل... إلخ.

---

(١)لسان العرب) (٨ / ٨٧)

(٢)المعجم الفلسفي/ الدكتور جميل صليبا (١ / ٥٥٧).

**المعنى السيكلوجي لكلمة دافع**

الناظر إلى كلمة (الدافع) يجد أن هذه الكلمة تفسر تفسيرا سايكولوجيا عند علماء النفس . ومعناها . الاهتمام بالعواطف والسلوكيات والإدركات بين الناس، وبالتالي فالدافع "اصطلاح يستعمل للدلالة على فكرة تستخدم لكي توضح بها أن سلوك الكائن الحي يتوقف في تغيره وتعديله على اصطناع الكائن الحي وتعرضه أو تعريضه لعمليات معينة" (١) ومن هنا فالدافع يعني الإدركات بين الناس فهو المحرك للشيء بغرض الوصول إليه.

**تعريف السلم**

**أولاً في اللغة:** جاء في لسان العرب أن "سلم: السَّلامُ والسَّلامَةُ: الْبَرَاءَةُ. وتَسَلَّمَ مِنْهُ: تَبَرَّأَ. وَقَالَ ابْنُ الأَعرابي: السَّلامة الْعَافِيَةُ، والسَّلامةُ شَجَرَةٌ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى:{ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا }[سورة الفرقان:٦٣]، مَعْنَاهُ تَسَلُّماً وَبَرَاءَةً لَا خَيْرَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ولا شر" (٢)

**ثانياً السلم في الاصطلاح:** يعرف بأنه "ضد الحرب ...، وهو أيضا الإسلام، وهو التسليم لله بلا منازعة، وهو جعل كل شيء من عين وعرض، مخلوقا لله تعالى" (٣) كما يراد "بالسلم السلام ; أي السلامة من الأذى والضرر والآفات، والأمن على النفس والمال" (٤) ومن خلال هذين التعريفين للفظة السلم يتبين أنه مأخوذ من الأمن والأمان والسكينة والاطمئنان.

---

(١) الدوافع النفسية، د / مصطفى فهمي، صـ٣٣.

(٢) لسان العرب، (١٢ / ٢٨٩) فصل السين المهملة.

(٣) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ) (صـ٥٠٧) المحقق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت

(٤) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: ١٣٥٤هـ) (٦ /٢٩٤) الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م.

**العلاقة بين السلم والأمن**

هناك علاقة وطيدة بين السلم والأمن لا يمكن أن ينفك أحدهما عن الآخر بأي حال من الأحوال، فالأمن "طمأنينة النفس، وزوال الخوف، والأمن والأمانة والأمان في الأصل مصادر، ويجعل الأمان تارة اسما للحالة التي يكون عليها الإنسان في الأمن، وتارة اسما لما يؤمن عليه الإنسان" [١] ومن هنا يتبين أن كلا منهما يشتركان في تحقيق استقرار المجتمع الإنساني.

**الجذور التاريخية لقضية السلم**

الجذور التاريخية لهذه القضية ترجع إلى المعتقد الإنساني، فالعقيدة الإسلامية هي التي بعث من أجلها الأنبياء والرسل أجمعون، فجميع الأنبياء دعوا إلى توحيد الله تعالى ونبذ ما عداه من الآلهة التي لا تنفع ولا تضر فإذا استقامت العقيدة استقامت الأخلاق عند البشر لا سيما وهي أساس الإيمان، فهي الملزوم وما عداها فهو اللازم.

يقول الدكتور (المطعني) "قضية التوحيد هي المحور الأساسي الذي ركزت عليه الدعوة القرآنية قبل الهجرة، وكان لابد من ذلك في بدء المواجهة؛ لأن القوم في مكة، كانوا وثنيين يعبدون الأصنام والأوثان آلهة من دون الله، وقد زين لهم الشيطان سوء عملهم فرأوه حسناً. وحينما واجه القرآن هذه الظاهرة طوَّقها من كل جهة، ولم يدع وسيلة من وسائل الإقناع السلمي إلا وقد استثمرها في خطاب القوم، ونصب لها من الدلائل والبراهين ما هو كفيل بتحقيق الإيمان بالله الخالق البارئ، المبدئ المعيد" [٢]

---

(١) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) (٩/١) المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ

(٢) سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله والعلاقات الإنسانية منهاجا... وسيرة، د /عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى: ١٤٢٩هـ) (صـ ١٥) مكتبة وهبة، الطبعة: الأولى ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م.

ولقد شرع الإسلام كثيرا من التشريعات التي تبث في المجتمع ما يسمى بالسلم الذي يؤدي إلى استقرار المجتمع وذلك بتطبيقها على أرض الواقع، فإذا فعلوا ذلك لم ولن تجد اختلافا قطعا بين إنسان وآخر بغض النظر عن المعتقد.

**مكانة السلم في الإسلام:**

تظهر مكانة السلم في الإسلام في أنه أعطى لكل ذي حق حقه فليس فيه ما يسمى بالحجر على المعتقد إنما فيه ما يسمى (بحرية الإرادة) أي . الاختيار، وكذلك وجود الأمن في شريعة الإسلام من أجل النعم وأعظمها قدرا في الشريعة الإسلامية؛ لذلك فإن هناك صورا عظيمة تظهر من خلالها مكانة السلم في الإسلام نذكر منها:

**١ . السلم في العقيدة**

ومعناه أن لكل إنسان معتقده الخاص به، فالكل يعيش تحت لواء الأخوة؛ لأن كلمة (إنسان) . نوع مقول على كثيرين متفقين في الحقائق واقع في جواب (ما هو؟)، وهذا النوع يندرج تحته الصنف أو الأفراد، وعليه فلا فرق بين نصراني أو ذمي أو غيرهما، فالكل إخوة في الإنسانية التي تجمعها كلمة (إنسان) ومن ثم فالقرآن ينفى الإكراه في الدخول في المعتقد الإيماني قال تعالى {لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ} [سورة البقرة: ٢٥٦].

ويعلق الشيخ أبو زهرة على هذا النص فيقول "احترم الإسلام حرية العقيدة احتراما كاملا فمنع الإكراه في الدين إذ نفى القرآن الكريم بالنص أن يكون الإكراه طريقا للدين ومنع المؤمنين أن يكرهوا أحدا على الدين وخوطب النبي . (بهذا النص المانع" [(١)] وقد جاءت الشريعة الإسلامية لتحافظ على هذا المعتقد فجعلته ضمن الكليات الخمس أو الضروريات الخمس الشاملة لجميع الشرائع عامة وشريعة الإسلام على وجه الخصوص.

(١) العلاقات الدولية في الإسلام، الإمام محمد أبو زهرة، صـ٢٩، دار الفكر العربي . بيروت . ١٤١٥ هـ، ١٩٩٥م.

يقول الإمام الشاطبي "ومجموع الضروريات خمسة، وهي: حفظ الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل، وقد قالوا: إنها مراعاة في كل ملة" [1]

**٢ . ومنها السلم في الحياة الشخصية**

من المعلوم أن الإسلام قد أعطى للإنسان كل شيء وسخر له كل شيء، ومن يدقق النظر في هذا الكائن يجد أنه " يتكون من شقين أساسين هما (المادة والروح)، وللمادة مطالبها من المأكل والمشرب والملبس والمسكن والمنكح والرعاية والصحة وغير ذلك، وللروح مطالبها من الشفافية والسمو والتعلق بالفضائل، وغير ذلك[2] ومن هنا فالإسلام نهى الإنسان عن الفساد؛ لأن هذا الخلق الذميم يترتب عليه ضياع الحقوق وكذا أكل أموال الناس بالباطل... إلخ هذه الأمور الشنيعة؛ لذلك من الواجب على كل ذي لب أن يعيش في حياته الدنيوية بلا إفراط ولا تفريط، يقول الله: {وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ } [سورة القصص: ٢٧٧].

**الضمير الإنساني في تحقيق السلم الاجتماعي**

الضمير الإنساني له دور بارز في تدعيم حركة السلم بين الناس لا سيما وهو الحاكم على سلوك الأفراد بغض النظر عن معتقداتهم وذلك من حيث التوجيهات الأخلاقية، من حيث السماحة بين الناس، والعفو عند المقدرة، والرحمة وغير ذلك من الأخلاق التي دعا إليها الدين الحنيف.

---

(١) الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ) (٢/ ٢٠) المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م

(٢) دراسة في التصوف الإسلامي، الدكتور / محمد الأنور حامد عيسى، صـ٥، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ، ١٩٨٩م

**فلسفة السلام في الإسلام**

إن سماحة الإسلام واضحة وجلية، وذلك حينما "نتحمل عقائد غيرنا وأعمالهم مع كونها باطلة في نظرنا ولا نطعن فيهم بما يؤلمهم رعاية لعواطفهم وأحاسيسهم، ولا نلجأ إلى وسائل الجبر والإكراه لتصريفهم عن عقائدهم أو منعهم مما يقدمون به من الأعمال" (١)، وقد دلت الآيات القرآنية على التسامح بين الناس حتى يسود بينهم الأمن والأمان والسلم والسلام، فمن الآيات التي تدعوا إلى التسامح قول الله تعالى: {وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ} [سورة الأنعام: ١٠٨]

ونلحظ أن "الخطاب بهذا النهي يتوجه إلى المسلمين لا إلى الرسول؛ لأن الرسول لم يكن فحاشا ولا سبابا؛ لأن خلقه العظيم حائل بينه وبين ذلك، ولأنه يدعوهم بما ينزل عليه من القرآن فإذا شاء الله تركه من وحيه الذي ينزله، وإنما كان المسلمون لغيرتهم على الإسلام ربما تجاوزوا الحد ففرطت منهم فرطات سبوا فيها أصنام المشركين." (٢) وعليه فلا يجوز للمسلمين بأي حال من الأحوال أن يسبوا آلهة المشركين، ولا يكونوا سببا في هذا السب بناء على النهي الإلهي الذي يفيد التحريم "وبهذا التوجيه القرآني الذي علم المسلمين أسلوب التعامل الحضاري ولم يشجعهم على سب معتقدات الآخرين بدعوى زيفها وعدم صحتها، قد سارت الأمة الإسلامية على نهج سوي، أي على نهج عدل وهذا ما احتاجت إليه البشرية إلى أن تعيه حتى لا تتكرر مغامرات السخرية من الأنبياء التي كشفت عن سوء

(١) الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة، أبو على المودودي، صـ٣٩، دار القلم . الكويت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٧ / ٤٢٨)

إدراك لموضوع الحرية ولحدود الاستفادة منها، فعاش العالم تواترا مفتعلا تنبه الناس بعده إلى أن الحرية أصبحت توضع في مقابل السلم والتعايش العالميين" [١]

وانظر إلى ضمير المؤمنين أنهم قد امتنعوا عما نهاهم عنه القرآن الكريم "وقد طبق النبي (مبدأ التسامح في علاقاته بالمشركين، وغيرهم في معاهداته، وفي حروبه، ففي المعاهدات تراه في صلح الحديبية؛ وهو الصلح الذي عقد بينه وبين المشركين عندما أراد أن يحج فمنعوه وأبوا أن يدخل البيت الحرام وقد كان أساس هذا الصلح شططا من جانب المشركين، وسماحة من جانب النبي (فقد أصروا في صلحهم على أن يمنعوه من الحج في عامه هذا، فقبل هذا الشرط ومعه جيش يستطيع أن يبدل عليهم ديارهم واشترطوا مع ذلك أن من يخرج من مكة مسلما ملتحقا بالنبي . (يرد إليهم إن لم يكن ذلك برضا أهله وأن من يخرج من عند محمد مرتدا إلى مكة يقبلونه ولا يمنعوه فقبل النبي السمح الكريم ذلك الشرط" [٢]

ونلحظ من خلال النص السابق أن النبي . . يعلم أمته التسامح في المعاملة، وفي الحوار والجدال؛ لأن هذا إن دل فإنما يدل على السلم الذي كان النبي - يزرعه في نفوس أصحابه، وكذا أعدائه، فترتب على ذلك أن دخل عدد كبير في دين الله تعالى؛ بسبب خلق الرسول السمح، وبسبب الأخلاق السمحة لصحبه الكرام عليهم رضوان الله، وهناك توجيهات أخلاقية متمثلة في العفو الذي يعد خلقا عظيما من أخلاق الإسلام الحنيف، وقد دعا إليه ورغب فيه. من حيث توجيهاته الحكيمة.

---

(١) التأصيل الشرعي للتعامل مع غير المسلمين، د/ مصطفى بن حمزة، ترجمة د. عبد النور الخرافي، صـ٢٧، وزارة الأوقاف والشؤن الإسلامية، الطبعة الأولى، دولة الكويت، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م، بتصرف.

(٢) العلاقات الدولية في الإسلام، الإمام محمد أبو زهرة، صـ٢٧

**التوجيهات الأخلاقية في الإسلام:**

**أولاً: مبدأ العفو في الإسلام**

العفو معناه: أن يعفو الإنسان عمن أساء إليه وقد أشار الإمام الغزالي في كتابه (الإحياء) معنى العفو بقوله "الْعَفْوِ أن يستحق حقا فيسقطه ويبري عنه من قصاص أو غرامة، وهو غير الحلم، وكظم الغيظ" (١) بل هو من أعظم ما يقوي الضمير الإنساني على وجه العموم، وقد ذكر في القرآن الكريم في أكثر من موضع، فمن المواضع التي ذكر فيها خلق (العفو) قول الله تعالى{ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ } [سورة الشورى آية: ٤٠]، فهذا النص فيه "بيان لوجه كون الانتصار من الخصال الحميدة مع كونه في نفسه إساءة إلى الغير بالإشارة إلى أن البادىء هو الذي فعله لنفسه فإن الأفعال مستتبعة لأجزئتها حتما إن خيرا فخير وإن شرا فشر وفيه تنبيه على حرمة التعدي"(٢)

وقوله سبحانه {خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ } [سورة الأعراف:١٩٩]، ففي النص القرآني إشارة إلى مقابلة الإساءة بالإحسان، والأمر باللين في مقابلة القسوة والشدة، فاللين من دأب الأنبياء والصالحين، "وهذا التعبير في إبداعه وروعته يعلن أن الأمور المعنوية تؤخذ كما تؤخذ الأمور المادية، فإذا كان المسيء قد أخذ رذيلة الإساءة فتحولت في نفسه إلى وخزات الضمير التي قد تؤلم ذا الوجدان الحي، فليأخذ المحسن فضيلة العفو، وليتمتع بلذة الشعور بمجد المكرمة وحلاوة الرحمة ونعم هذا الثمن العظيم مقابل مس الألم اليسير الذي تفعله الإساءة" (٣)، وفي النص السابق إشارة إلى "الحض على التعلق بالعلم، والإعراض

---

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) (١٨٢/٣) الناشر: دار المعرفة . بيروت.

(٢) تفسير أبي السعود (٨ / ٣٤)

(٣) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، صـ ١٣٥، ١٣٦.

عن أهل الظلم، والتنزه عن منازعة السفهاء، ومساواة الجهلة الأغبياء، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة." [١] والعفو من الأمور الواجبة على الإنسان مع المحافظة على الذات الإنسانية وعدم وضعها في موطن الإهانة، وعليه فإن العفو (المغفرة) واجب على الإنسان لكن ينبغي أن لا يخلط بينه وبين احتمالات الإهانات؛ لأن ذلك سيكون بمثابة ترك حقوق يدوس عليه الآخرون وفي هذا انتهاك لواجب الإنسان نحو ذاته " [٢]

فانشغال النفس أو الوجدان بما يسمى في علم الأخلاق(بالرذيلة)، كالإساءة والظلم والغلظة وعدم المسامحة، وغير ذلك مما نفر منه الإسلام وحذر منه الذي يترتب عليه حماية المجتمع من جشع الضمير وغيابه عن مهامه التي كلف بها من قبل العدالة الإلهية.

**ثانياً . (العدل الإجتماعي)**

مما لا شك فيه أن من مقومات(السلم) ما يسمى بالعدل الإجتماعي بين الناس لكي يعرف كل إنسان ما له وما عليه من الحقوق والواجبات، وهذا هوالقانون الإلهي الذي وضعه الله للبشر كافة، إذا فهو "نَقِيضُ الْجَوْر" [٣] كما عبر عنه الفخر الرازي بأنه "هو الخط المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط" [٤].

والإفراط والتفريط في جانب الملذات أو الشهوات التي تكون سببا في موت الضمير الإنساني أو السلوكي، وعلى ذلك فالعدل في الشريعة الإسلامية هو وضع كل شيء في موضعه دون إفراط أو تفريط.، ويقصد بالعدالة هنا (العدالة

---

(١) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) (٧ / ٣٤٤) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م

(٢) أمانويل كنت، الأخلاق عند كنت، د/ عبد الرحمن بدوي، صـ٢١٤،.

(٣) مقاييس اللغة (٤ / ٢٤٧).

(٤) مفاتيح الغيب، للرازي (١ / ٢١٨).

الاجتماعية) التي تعني عند أفلاطون بأنها "تحقيق مثل هذا النظام في علاقات الأفراد، فإن الرجل الصالح في نفسه صالح بالضرورة في معاملاته والعكس بالعكس، بل إن العدالة تستتبع الإحسان تاما شاملاً، فلا نحدها بالإحسان إلى الأصدقاء والإساءة إلى الأعداء؛ لأن الإساءة إساءة للنفس أولاً، فالذي يقابل الشر بالشر يفقد عدالته ويزيد الشرير شراً فتنتج هذه العدالة المزعومة ضدها من الناحيتين وهذا خلف"(١)

## مكانة العدل الاجتماعي

العدل من الفضائل الخلقية التي دعا إليها الإسلام ومن ثم فله مكانة إجتماعية كبيرة في المجتمع حتى يسود فيه (السلم) بين كافة أفراد المجتمع، فإذا تحقق ذلك سادت الأخوة بين الناس جميعا.

ونلحظ أن العدل الإلهي أصل من أصول المعتزلة وقد نقل عنهم الشهرستاني تعريف العدل الأخلاقي بقوله " العدل ما يقتضيه العقل من الحكمة؛ وهو إصدار الفعل على وجه الصواب والمصلحة. (٢)

وقد تحدث الفيلسوف الألماني (هيوم) عن مبدأ العدل ومكانته من بين سائر الفضائل الاجتماعية التي اهتم بها هذا الفيلسوف "وحديث هذا الفيلسوف عن هذه الفضيلة ينحصر في تساؤلين أولهما: كيف يمكن تأسيس قواعد العدالة؟، وثانيهما: لماذا يوافق الناس على طاعة مثل هذه القواعد ولا يوافقون على عدم طاعتها...."(٣)، ومن أجل أن يجيب هيوم عن تساؤلاته يرى "أنه ينبغي النظر في المجتمع على أنه ضروري لحفظ النوع الإنساني، وينبغي النظر إلى العدالة على أنها ضرورية لحفظ المجتمع" (٤)

---

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية، د/ يوسف كرم، صـ١١٩، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٠٠، ١٩٣٦م.

(٢) الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ) مؤسسة الحلبي، (١ / ٤٢)

(٣) الأخلاق عند هيوم، د / محمد سيد أحمد، صـ٩٠، مرجع سابق.

(٤) نفس الإشارة السابقة، صـ٩١.

ومن هنا فالعدالة الاجتماعية تعني المساواة في الحقوق المادية والمالية على حد سواء حتى يتم حفظ النوع الإنساني، والذي أميل إليه أن العدل يقيم الضمائر المنحرفة والمعوجة التي انحرفت عن طريق الهدى إلى طريق الغي ومن طريق الخير إلى طريق الشر، ولهذا فالعدل يعد من أهم الفضائل الخلقية؛ لأنه يتعدى منافعه إلى الغير ومن ثم فهو كما قال أرسطو طاليس إنه "الفضيلة التامة ولكنه ليس فضيلة مطلقة وشخصية محضة بل هو متعد إلى الى الغير وهذا هو الذي يجعله في الغالب يشبه أن يكون أهم الفضائل" (١)

**ثالثاً . الدوافع الأخلاقية للفرد والمجتمع:**

وتتمثل هذه التربية في الدوافع الأخلاقية التي دعا إليها الإسلام وهي:

١- اللين في الجانب العقدي وذلك حينما يدعو الإنسان الناس إلى عبادة الله تعالى، فعليه التحلي بمكارم الأخلاق، ومنها (خلق الرحمة واللين في الكلام) خاصة مع أولئك الذين ينتمون لملة غير ملة الإسلام، ولقد جاء التوجيه القرآني بذلك قال تعالى: { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ} [سورة آل عمران: ١٥٩].

٢-إفشاء السلام بين الناس، وهو من الأسباب التي تدعو إلى الألفة والمودة والرحمة بين الناس وهو سبب من أسباب دخول الجنة فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -: **((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ))** (٢) وقد علق الإمام النووي مبينا مكانة إفشاء السلام فقال "وفيه الحث العظيم على إفشاء السلام وبذله للمسلمين كلهم من عرفت ومن لم تعرف كما

(١) علم الأخلاق إلى نيقو ماخوس، أرسطو طاليس /، ترجمه من اليونانية إلى الفرنسية، وصدره بمقدمة ممتعة في علم الأخلاق وتطوراته، وعلق عليه تعليقات تفسيرية، بارتملي سانتهلير، (٢/ ٦٠) مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٤٣هـ، ١٩٢٤م

(٢) أخرجه مسلم (٥٤)(١ / ٧٤)

تقدم في الحديث الآخر، والسلام أول أسباب التألف، ومفتاح استجلاب المودة، وفي إفشائه تمكن ألفة المسلمين بعضهم لبعض، وإظهار شعارهم المميز لهم من غيرهم من أهل الملل مع ما فيه من رياضة النفس، ولزوم التواضع، وإعظام حرمات المسلمين" (١)

وعليه فلو أهملت المجتمعات الإسلامية ما جاء في هذا الحديث من الأمور الجامعة لأكل القوي الضعيف، ولظهر الاحتكار والسرقة وغيرهما، ولترتب على ذلك ضياع المجتمع كله، فأصبح السلم لا مكان له بين الناس، ولفشت الفتن والفواحش التي نهي عنها الدين الحنيف، وأصبح المجتمع متآكل البنيان لا مكان فيه للضعفاء وأصبح كالغابة فيها ألوان الفريسة التي لا تسطيع أن تأخذ حقها فلا مكان لها ولا حياة فأين الضمير؟

**٣ . التهذيب الغيري:**

لقد حرص الإسلام على توجيه سلوك الناس إلى الغير باعتباره مخلوق الله الذي خلقه وكرمه وفضلة على سائر المخلوقات على الاطلاق، فلا يجوز للإنسان الاعتداء عليه بالقتل أو السرقة أو السب أو الاعتداء عليه بأي حال من أحوال الاعتداءات؛ وذلك ليعيش الإنسان عيشة كريمة وقد جاء النهي الشديد والوعيد الذي أعده الله لمن سولت له نفسه بالقتل أو السب وغير ذلك من ألوان الاعتداءات التي حرمها الإسلام إلا بالحق فعن القتل قال تعالى { وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا } [سورة النساء: ٣٩] " فالبشر عرضة للبغي الشديد الذي يفضي إلى القتل بغير حق، إذا لم يردعهم الوعيد الشديد، أو خوف العقاب العتيد (٢) "

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) (٢/ ٣٦) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

(٢) تفسير المنار، محمد رشيد رضا (٦ /٢٨٨)

٤ . **احتياج الإنسان إلى التعاون بين الجماعات المختلفة** بغرض نشر السلام بين الناس، وهذا العامل المشترك يؤدي إلى السلم بين الناس، فكل واحد يحتاج إلى الآخر ولا يمكن أن يستغني الإنسان بأي حال من الأحوال عن بني جنسه إذ في التعاون والاجتماع ذروة المطلق أي السعادة في الدنيا والآخرة وفي هذا يقول الفارابي في كتابه (المدينة الفاضلة) "وكل واحد من الناس مفطور على أنه محتاج في قوامه وفي أن يبلغ كمالاته إلى أشياء كثيرة لا يمكن أن يقوم بها كلها هو وحده، بل يحتاج إلى قوام يقوم كل واحد منهم بشيء مما يحتاج إليه كل واحد من كل واحد بهذا الحال" [١] ومن خلال النص الفلسفي السابق يظهر أن الفارابي يدعو المجتمع الإنسان إلى التعاون المشترك بغض النظر عن الجنس والمعتقد؛ لأن ذلك يترتب عليه السعادة وهذا يتفق تماما مع (أرسطو وأفلاطون) في أن الغاية عندهما من الاجتماع والتعاون إنما هو نيل السعادة.، ومن يدقق النظر يجد أن روابط العقيدة أقوى من كل الروابط التي تهذب السلوك الإنساني على جهة العموم إذ المقصود من التعاون هو التعاون المعنوي بل والمادي أيضاً.

يقول الدكتور محمد عبد الله دراز "ذلك إنها تربط بين معتنقيها برباط من المحبة برباط من المحبة والتراحم لا يعدله رباط آخر من الجنس أو اللغة أو الجوار أو المصالح المشتركة، بل إن هذه العلاقة مجتمعة مهما يكن أثرها الظاهري من كف الأذى وبذل المعروف المتبادل تظل روابط سطحية تضم الأفراد كما تضم الأعواد في ضغث، ولا تزال تتحللها الفجوات والثغرات والحواجز النفسية.... حتى تشدها رابطة الأخوة في العقيدة، والمشاركة في المثل العليا" [٢]، وعليه فالتعاون بين الجماعات تظهر ثمرته الناضجة عندما يكون مبنيا على عقيدة

---

(١) المدينة الفاضلة، للفارابي، الدكتور/ على عبد الواحد وافي، صـ٣٦، نهضة مصر.

(٢) الدين، بحوث لدراسة ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، د. محمد عبد الله دراز، صـ١٠١، ١٠٢، دار القلم

راسخة وثابتة، ومن هنا فإخوة الدين أقوى من إخوة النسب ففي قول الله تعالى {إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ} [سورة الحجرات: ١٠].

ويعلق الإمام القرطبي على هذه الآية بأن المراد بالإخوة "أي في الدين والحرمة لا في النسب، ولهذا قيل: أخوة الدين أثبت من أخوة النسب، فإن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين، وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب" (١).

**٥ . مشروعية البر والإحسان إلى أهل الذمة**

الناظر في القرآن الكريم يجد أنه قد نهى المسلمين عن قتال الذين لم يقاتلونهم في دينهم، وهذا النهي للوجوب بل يفيد التحريم القطعي بعدم إيذائهم في أعراضهم وأموالهم وأنفسهم وكذا دينهم الذي يدينون به... إلخ، وقد جاء النهي في سورة الممتحنة في قول الله تعالى {لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ} [سورة الممتحنة: ٨]، فالدين لا يمنع من الإحسان إلى هؤلاء ما داموا في ديارنا وطالما أنهم لم يتعرضوا لقتال المسلمين.

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (١٦ / ٣٢٣)

## المبحث الرابع

## الدوافع الأخلاقية للضمير الإنساني في الحرب

مما لا مجال فيه للشك أن الضمير الإنساني له دور عظيم خاصة في الحروب القائمة بين الإسلام ومعارضيه، ومن ثم فقد أمر الإسلام أتباعه في أن يراعوا ضمائرهم ووجدانهم وسلوكهم في حسن المعاملة مع غير المسلمين في جميع نواحي الحياة وذلك يتجلى فيما يلي: ..

**فلسفة العدوان**

العدوان "صفة من يعدو على غيره، وغريزة العدوان أو العدوانية نمط من السلوك يتميز بروح الاعتداد، والإقدام على المخاطر بدلا من إجتنابها"[(١)] "

ومعلوم أن العدوان بين البشرية سوف يظل قائما حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وإذا كان الإنسان خليفة الله في الأرض، فمن الواجب عليه أن يدافع عن دينه وعرضه... أو ما يسمى بالكليات الخمس وهي (النفس والمال والعرض والعقل والدين) فهي سمة مشتركة بين الأديان جميها، فالاعتداء على "النفوس بالقتل وبقطع الأعضاء، وإفساد الأموال بالغصب والسرقة ووجوه الحيل، وإفساد الأديان بالكفر والبدعة، وإفساد الأنساب بسبب الإقدام على الزنا واللواطة والسب والقذف، وإفساد العقول بسبب شرب المسكرات" [(٢)] فمن فعل فقد باء بغضب من الله واستحق اللعن والطرد من رحمة الله وذلك بسبب ما اقترف من الجرائم الشنيعة التي تدمر كافة أفراد المجتمع الإنساني.، بل إن الحرب يلزم منه عدم الراحة والسعادة في حياة البشر ومن ثم يحدثنا الفيلسوف اليوناني (أرسطوطاليس) عن البعد عن الحرب؛ لأنه يترتب عليه عدم شعور المرء بالسعادة حيث قال في كتابه علم الأخلاق إلى نيقو ماخوس "أفعال الحرب تنتفي الراحة على الاطلاق من أجل ذلك

(١) المعجم الفلسفي، الدكتور جميل صليبا (٢/ ٦٧)

(٢) مفاتيح الغيب، للرازي (١٤ /٢٨٣).

لا أحد يريد الحرب البتة أو لا يجهز للحرب وحدها" [١] وعليه فالإسلام ينهي أتباعه عن استخدام هذا السلوك ما لم يقدموا على الحرب أولاً.

والإسلام في جوهره ينهي الإنسان عن العدوان بكل صوره البشعة وما يقال عن عدوان الإسلام على غيره فهو من كل ذلك بريء براءة الذئب من دم ابن يعقوب– عليهما السلام–، وقد تعرض أتباع النبي . للعذاب من جانب المشركين تعرض النصارى لأصناف العذاب من المشركين في زمانهم، ففي كتاب محاضرات في النصرانية للإمام محمد أبو زهرة يوضح فيه أن العداء امتد فشمل أتباع المسيح "لقد كانوا يضعون بعضهم في جلود الحيوانات ويطرحونهم للكلاب فتنهشهم، وصلبوا بعضهم، وألبسوا بعضهم ثياباً مطلية بالقار، وجعلوها مشاعل يستضاء بها...." [٢] وهكذا نجد أن الطبيعة العدوانية عند المشركين تبدو ظاهرة متأصلة في نفوس لا يردعها رادع عن الفتك بضحاياها من أتباع الأديان، فإن دفاع الإسلام عن نفسه لا يعد اعتداء قال الله تعالى {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ [سورة الحج: ٣٩].

**المراد بالحربيين**

جاء في لسان العرب أن الحربي نسبة إلى الحرب فيقال "أنا حرب لمن حاربني، أي عدو. وفلان حرب فلان أي محاربه. وفلان حرب لي أي عدو

(١) علم الأخلاق إلى نيقو ماخوس، أرسطو طاليس /، ترجمه من اليونانية إلى الفرنسية، بارتلمي سانتهلير، ونقله إلى العربية، أحمد لطفي السيد، صـ ٣٥٥، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٤٤٣هـ، ١٩٢٤م.

(٢)محاضرات في النصرانية (تبحث في الأدوار التي مرَّت عليها عقائد النصاري وفي كتبهم ومجامعهم المقدسة وفرقهم) محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ) (صـ ٣٠) دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة: الثالثة ١٣٨١ هـ – ١٩٦٦ م.

محارب، وإن لم يكن محاربا" [1]وإذا كان الحربي في دار الحرب أي القتال فما موقف الضمير الإنساني منه في وقت الحروب؟

والجواب على هذا السؤال يتجلى في إظهار عظمة أخلاق المسلمين تجاه أعداء الدين ليتبين لهم مدى حرص الإسلام وسماحته مع الجانب الآخر، في وقت السلم والحرب، وهذا ما سنبينه في السطور التالية:

**فلسفة الضمير الإنساني في كفالة حقوق غير المسلمين**

الضمير الإنساني في التعايش مع غير المسلمين يتجلى فيما يلي .:

**أولا. حسن العشرة والمعاملة الحسنة**

لقد أمر الإسلام أتباعه بحسن معاملة غير المسلمين؛ لأن هذا هو منطق الإسلام وشعاره الذي لا يتبدل ولا يتغير، وعليه فرسالة الرسول . مبنية على الصلة والبر بالمسلم وغير المسلم، وقد جاء هذا التقرير صريحا من الرسول . الخاتم . حينما جاءت أسماء بنت أبي بكر – إليه لتسأله عن جواز برها وصلتها بأمها وهي على غير ملة الإسلام فأقرها النبي . على ذلك فقد روى الشيخان البخاري ومسلم من حديث أسماء أنها **((قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ، إِذْ عَاهَدُوا رَسُولَ اللَّهِ وَمُدَّتِهِمْ مَعَ أَبِيهَا، فَاسْتَفْتَتْ رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ عَلَيَّ وَهِيَ رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ صِلِيهَا»)**[2] ففي هذا الحديث إشارة إلى ما ينبغي أن يفعله المسلم في صلة أقاربه حتى ولو كانوا على غير ملة الإسلام وهي جائزة.

يقول ابن حجر العسقلاني: "وقال الخطابي فيه أن الرحم الكافرة توصل من المال ونحوه كما توصل المسلمة ويستنبط منه وجوب نفقة الأب الكافر والأم الكافرة وإن كان الولد مسلما. أ. هـ، وفيه موادعة أهل الحرب ومعاملتهم في زمن

---

(١) لسان العرب، (فصل الحاء) (١/ ٣٠٣)

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الهبة، باب: الهدية من المشركين (٢٦٢٠)(٤ / ١٠٣)، مسلم: كتاب الزكاة، باب: فضل الصدقة (١٠٠٣).

الهدنة والسفر في زيارة القريب وتحري أسماء في أمر دينها وكيف لا وهي بنت الصديق وزوج الزبير" (١) ومن هنا فالإسلام أمر أتباعه بحسن المعاملة مع هؤلاء، ومع حسن هذه المعاملة الطيبة يجب على الإنسان أن يأخذ الحذر الشديد عند معاملة الغير وهذا ما يوفر له البعد عن الخصومات والمشاجرات التي تحتمل الوقوع في أي وقت كان ولأي سبب كان.

يقول الفيلسوف الألماني (شوبنهاور) "يجب عليك أيضاَ توخي الحذر الشديد والتحلي بالحلم كي تستطيع تحمل معاشرة الناس والاختلاط بهم عند الضرورة. إن الحذر سيدرأ عنك خسائر كثيرة وأضرارًا جمة بينما الحلم سيوفر عليك الكثير من المشاجرات والخصومات المحتملة فإن كان ولابد من مخالطة الناس فأقبلهم كما عجنتهم الطينة وعركت طباعهم بمن فيهم الأشرار... اقبلهم كما هم؛ لأنهم لن يتغيروا أبداً مهما حاولت معهم" (٢) فكلام هذا الفيلسوف إنما يعني أن الحذر أمر واجب وهذا لا يمنع أن يقبلهم الإنسان على حالهم؛ لأن التغيير ليس بيد الإنسان وإنما بيد الخالق جل وعلا.

**ثانيا: حق التكريم،** وهذا التكريم الإلهي للإنسان من لدن سيدنا آدم . إلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها وذلك؛ لأنه مخلوق بقدرة الله تعالى وقد نفخ الله فيه من روحه، فهذا إن دل فإنما يدل على رفعة الإنسان على سائر المخلوقات عامة؛ لأنه قد ركب فيه الشهوة وهي في ذاتها ابتلاء ومع ذلك قاوم الإنسان كل هذه الأمور حتى استحق هذا التكريم المذكور في قول الله تعالى {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا } الاسراء، آية:٧٠.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الهبة، باب: الهدية من المشركين (٢٦٢٠) (٤ / ١٠٣)، مسلم: كتاب الزكاة، باب: فضل الصدقة (١٠٠٣).

(٢) آرتور شوبنهاور في العيش الحكيم تأملات في الحياة والناس، ترجمة: عبد الله زارو، صـ٢٢٠، ٢٢١، دار لامان . الرباط، الطبعة الأولى ١٤٣٩ هـ، ٢٠١٨م

**ثالثا: حقوق أموال المعاهدين**

حينما يكون هناك رباط بين المسلمين وغير المسلمين فيترتب عليه عدة عهود ومواثيق بينهم، ومن هذه العهود: أنه لا يوجد فرق بين مال المسلم وغير المسلم، فلا يجوز للمسلم أخذ مال غير المسلم لأن باب المعاملات في الإسلام يحتم أن لهم ما لنا وعليهم ما علينا.

يقول الإمام القرطبي "والذمي مع المسلم متساويان في الحرمة التي تكفي في القصاص... وهذا يدل على أن مال الذمي، قد ساوى مال المسلم، فدل على مساواته لدمه، إذ المال إنما يحرم بحرمة مالكه" [1] وقياسا على مال المسلمين في أنه لا يحل لمسلم أخذ مال أخيه بدون وجه حق، كذلك فإن مال غير المسلم له من الحرمة ما له مثل مال المسلم بل أشد، وإلى ذلك فقد أشار صاحب الخلق العظيم في أنه لا يحل للإنسان أن يأخذ من أموال المسلمين إلا بطيب أنفسهم، فكذلك لا يحل شيء من أموال المعاهدين.، وهذا إن دل فإنما يدل على سماحة الدين الإسلامي، وكذا أخلاقه الرفيعة التي تدعو إلى السلم والسلام داخل المجتمع الإنساني.

**فلسفة الضمير الإنساني في تهذيب أخلاق المجاهدين**

الجهاد: يعني الدفاع عن عقيدة التوحيد التي هي المغزى من دعوة الأنبياء، وعليه فهناك قواعد وضعها الرسول . . للأمراء والقواد عند الإقدام إلى أرض المعركة فهذه الوصايا تتمثل في التوجيه النبوي التي تساعد على بقاء النوع الإنساني وهي كالتالي:

١ . عدم الغدر والتمثيل وقتل النساء والصبية في الحرب، وقد جاء النهي النبوي عن ذلك، فعن علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بريدة، عن أبيه، قال: **((كَانَ رَسُولُ اللهِ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ**

(١)الجامع لأحكام القرآن، القرطبي(٢ / ٢٤٦)

**الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: «اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا...))** (١) كما نهى النبي . عن قتل النساء ففي صحيح مسلم من حديث ابن عمرأنه قال: **((وُجِدَتِ امْرَأَةٌ مَقْتُولَةً فِي بَعْضِ تِلْكَ الْمَغَازِي، فَنَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ))**(٢).

٢ . المعاملة الحسنة لأسرى بدر، وتظهر معاملته ﷺ في عفوه عند المقدرة، ولقد تعلم هذا النهج الصحب الكرام . رضوان الله عليهم أجمعين .، ففي كتاب تاريخ الإسلام للذهبي ما يدل على حسن معاملة النبي . ﷺ . للأسرى من تقديم الطعام والشراب لهم مما يدل على إيثاره . ﷺ على نفسه هو والصحب الكرام وقد أقبل رسول الله –ﷺ – بالأسارى وفرقهم على المسلمين، وقال: "استوصوا بهم خيرا... فإنه كان ليقدم إليهم الطعام فما تقع بيد أحدهم كسرة إلا رمى بها إلى أسيره" (٣)

٣ . نهيه . ﷺ . عن أذي وظلم غير المسلمين من المعاهدين والمستأمنين، وجاء في ذلك من الأحاديث النبوية الجليلية التي تحيي الضمير الإنساني في نفوس المؤمنين، ففي صحيح مسلم **((إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يُذْكَرُ فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا...))**(٤)

قال الإمام النووي في شرحه على مسلم "قال العلماء القيراط جزء من أجزاء الدينار والدرهم وغيرهما وكان أهل مصر يكثرون من استعماله والتكلم به وأما الذمة فهي

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها، ح رقم (١٧٣١) ج ٣، صـ١٣٥٧.

(٢) نفسه (باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب) رقم الحديث (١٧٤٤) ج٣ / ١٣٦٤.

(٣)تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) (٢/ ٥٩) الناشر: المكتبة التوفيقية

(٤)صحيح مسلم –كتاب فضائل الصحابة(باب وصية النبي صلى الله عليه وسلم بأهل مصر) (٤ / ١٩٧٠)ح(٢٥٤٣).

الحرمة والحق وهي هنا بمعنى الذمام وأما الرحم فلكون هاجر أم إسماعيل منهم وأما الصهر فلكون مارية أم إبراهيم منهم" [١]، وقد حرم الرسول . ﷺ قتل المعاهد وتوعد بالويل الشديد لمن تسول له نفسه في قتله في أنه لا يشم رائحة الجنة، روى البخاري من حديث عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺقال((**مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا**))[٢]

**فلسفة الحرب في الإسلام**

معلوم أن الحرب قائمة بين الحق والباطل إلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها، وعليه إذا قامت الحرب بين فئتين، فئة تقاتل في الدفاع عن الحق والعرض وغيرهما من الكليات الخمس المعروفة، وأخرى كافرة قائمة على العناد والكفر وغيرهما من أساليب الكفر وكذا معتقداتهم الباطلة، فإن الإسلام قد وضع سلوكا أخلاقيا لأهله وأتباعه يسمى (بالضمير الإنساني)ففي صحيح مسلم من حديث شداد بن أوس، قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، قال((**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ**)) [٣]

قال المناوي في "فيض القدير" أهل الإيمان أي هم أرحم الناس بخلق الله وأشدهم تحريا عن التمثيل والتشويه بالمقتول وإطالة تعذيبه إجلالا لخالقهم وامتثالا لما صدر عن صدر النبوة من قوله ((**فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ**))[٤] ومن هنا فالإحسان في القتل إنما هو سلوك قويم وفيه إشارة

---

(١)شرح مسلم، للنووي(١٦ / ٩٧)

(٢) أخرجه البخاري(كِتَابُ الجِزْيَةِ) باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم، ح (٣١٦٦) (٤/ ٩٩)

(٣) أخرجه مسلم، كتاب كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل، وتحديد الشفرة، رقم الحديث(١٩٥٥) (٣/ ١٥٤٨)

(٤) أخرجه مسلم، كتاب كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل، وتحديد الشفرة، رقم الحديث(١٩٥٥) (٣/ ١٥٤٨)

إلى عدم استعمال العنف والقسوة في القتل وذلك دلالة على التسامح الذي وضعه الدين القويم لأتباعه.، وحينما يخرج الصحابة للغزو فكان يوصيهم . ﷺ . بأن يوطنوا أنفسهم وسلوكهم تجاه أنواع معينة من الناس أو الحيوان أو النبات، وفي هذا بيان لعظمة أخلاق المسلمين تجاه هذه الأمور، فعنِ " بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا بَعَثَ جَيْشًا قَالَ: **((اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، لَا تَغُلُّوا، وَلا تَغْدِرُوا، وَلا تَقْتُلُوا امْرَأَةً، وَلا وَلِيدًا، وَلا شَيْخًا كَبِيرًا....))** (١)

قال الإمام النووي في شرحه على مسلم "أجمع العلماء على العمل بهذا الحديث وتحريم قتل النساء والصبيان إذا لم يقاتلوا فإن قاتلوا قال جماهير العلماء يقتلون" (٢) ونلحظ أن النهي الوارد في الهدي النبوي سالف الذكر إنما معناه النهي عن ظلم الغير إذ لا يجد الإنسان اللذة في تعرضه لأذى الغير كما قال أرسطو طاليس أن "لا يألم الإنسان أن يهين الغير، ولكن متى فعل الإنسان مع الغضب فإنما يفعل بألم حاد في حين أن الذي يرتكب إهانة الغير لا يجد لذة" (٣)

ويحدث تأنيب للضمير الإ نساني في حالة الاعتداء على النفس بالقتل أو الظلم الذي يقع من الإنسان على غيره أو الإساءة التي تؤدي إلى العدوان وغيره من ألوان الظلم المحرم وعليه "فاللغة تجمع تحت اسم واحد أشياء متباينة كل التباين: تأتي شبه بين تأنيب الضمير الذي يشعر به القاتل، وبين تأنيب الضمير الملح المرهق الذي قد تشعر به حين تمس كرامة أحد أو حين تظلم طفلا ما؟ لأن تخدع نفسا برئية تتفتح للحياة، فتلك إساءة من أكبر الإساءات في نظر بعض الضمائر التي لم تزود بحسن تزن به الأشياء لكونها لم تستمد من المجتمع معياره،

(١) أخرجه مسلم (كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ) (باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها) (١٧٣١)(٣/ ١٣٥٧)

(٢) شرح مسلم، للنووي(١٢ / ٤٨)

(٣) علم الأخلاق إلى نيقوماحوس، أرسطو طاليس (٢/ ١٨٣)

ولا أخذت عنه أدواته وأساليبه في التقدير" [١] وهذا العمل الذي يأمر به الدين إنما هو من باب العطف الذي دعا إليه الإسلام ومن ثم "فاستعمال التعاطف كوسيلة لبذل الاحسان الفعال العقلي واجب أيضاً وإن كان مشروطا باسم الإنسانية؛ لأن الإنسان لا يعتبر هاهنا كعاقل فقط بل وأيضا كحيوان ناطق أي مزود بعقل" [٢] فالنطق هو المميز الذاتي للإنسان فهو حيوان عاقل قد ميزه الله بالعقل فلا يجوز له أن يعتدي على أخيه المسلم بأي حال من الأحوال؛ لأن الاعتداء قد حرمه الإسلام "كما حرم ترويع الآمنين والاعتداء على المستضعفين وسلب حقوق الآخرين ونهبها بليل أو نهار، سرا أو جهرة، وقدر عقوبات رادعة لكل من تسول له نفسه فعل هذا" [٣] فكون الإنسان يستعمل العطف والإحسان بجانب الآخرين فإن هذا من باب الإنسانية ولا يستعمل هذا إلا كل ذي لب سليم.

إن من ينظر إلى عظمة الإسلام يجد فيه السماحة واللين مع أعدائه في أرض المعركة حسب توجيهات النبي . ﷺ . في عدم قتل الأطفال والشيوخ وكذا المرأة... إلخ صور النهي الواردة في الأحاديث النبوية سالفة الذكر، وكل ذلك يؤكد على عظمة الإسلام ومكانته السامية، وتهذيب الضمير الإنساني في صورة العفو عن هذه الصور الواردة في الأحاديث النبوية الجليلة، ومن ثم يجد الإنسان الفارق بين توجيهات الدين الحنيف، وبين ما يقع اليوم من حروب ودمار، وتمثيل لصور القتلى من مكان لآخر، وقتل الأطفال والنساء والشيوخ... إلخ، فقد يشاهد الإنسان وحشية وهمجية في الإقدام على قتل هؤلاء الذين نهى الإسلام عن قتلهم لحكم كثيرة، وعليه فأخلاق المسلمين الأوائل قد تجسدت بالفعل في معاملة غير المسلمين معاملة طيبة كما أمرهم دينهم الحنيف.

---

(١) منبعا الأخلاق الكاملة، هنري برجسون، الأعمال الكاملة، ترجمة الدكتور / سامي الدروبي، والدكتور / عبد الله عبد الدايم، صـ٢١، ٢٢، الهيئة العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١م.

(٢) أمانويل كنت، الأخلاق عند كنت، د/ عبد الرحمن بدوي، صـ٢١١.

(٣) التعريف بالإسلام، الشيخ عطيه صقر، تقديم / أ. د محيي الدين عفيفي، صـ٣٩، طبعة الثانية، مجمع البحوث الإسلامية، ١٤٣٧، ٢٠١٦م

# الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فقد يسر لي وأعانني على إتمام هذا البحث وإكماله، وقد بذلت فيه جهدي وطاقتي وأوجز في هذه الخاتمة أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال المباحث التي تضمنها البحث المعنون بـ (الضمير الإنساني في السلم والحرب دراسة في السلوك والدوافع الأخلاقية)

وتتمثل هذه النتائج فيما يلي:

**أولاً: النتائج:**

١ . اتضح من خلال الدراسة بيان عظمة الضمير الإنساني باعتباره الناصح الأمين لكل سلوك يقوم به الإنسان تجاه نفسه أو مجتمعه أو خالقه جل وعلا، إذ يعد محكمة لا تحتاج لشهود ولا قضاة؛ لأن أحكامه نابعة من القلب.

٢ . تبين من خلال الدراسة أن الإسلام قد شرع كثيرا من التشريعات التي تبث في المجتمع السلم الذي يؤدي إلى استقرار المجتمع حين تطبق الدوافع الأخلاقية والسلوكيات الإنسانية على أرض الواقع، فترقى الأمم ويعلو مجد الإسلام وينتشر في أنحاء المعمورة

٣ . برز من خلال الدراسة مكانة الضمير الإنساني في علم الأخلاق الإسلامي وتطبيقه في حالتي (السلم والحرب)، وذلك من حيث السلوك الإنساني والدوافع الأخلاقية التي تهذب النفس، وتأخذ بها إلى السكون والطمأنينة واليقظة من غفلتها وعودتها إلى فطرتها السليمة.

٤. ظهر من خلال الدراسة أن النبي . صلى الله عليه وسلم . يعلم أمته التسامح في المعاملة وفي الحوار والجدال مع الآخر بغض النظر عن المعتقد؛ لأن الضمير قاسم مشترك بين الأنواع البشرية، ومن ثم فقد ترتب على ذلك أن دخل عدد كبير في دين الله تعالى؛ بسبب أخلاقيات الرسول . صلى الله عليه وسلم . السمحة.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على أفضل أنبيائك ورسلك سيدنا محمد (ﷺ) وعلى آله وأصحابه أجمعين.

## المراجع


- إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) الناشر: دار المعرفة . بيروت
- الفردوس بمأثور الخطاب، المؤلف: شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي أبو شجاع، المحقق: السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة النشر: ١٤٠٦ – ١٩٨٦
- الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم دمشق . الطبعة الخامسة، ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩م.
- الأخلاق النظرية، د / عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات . الكويت، ط٢، ١٩٧٥م
- الأخلاق عند الغزالي، د/ زكي مبارك، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر. مؤسسة هنداوي، ٢٠١٢م.،
- الأخلاق عند هيوم، د / محمد سيد أحمد، دار الثقافة للنشر، ١٩٩٢م.
- الأخلاق في إطار النظرة التطويرية، أ. د / طه حبيشي، مكتبة الإيمان، الطبعة الأولى ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م.
- آرتور شوبنهاور في العيش الحكيم تأملات في الحياة والناس، ترجمة: عبد الله زارو، دار لامان . الرباط، الطبعة الأولى ١٤٣٩ هـ، ٢٠١٨م
- الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة، أبو على المودودي، دار القلم . الكويت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.
- الإسلام والعقل، محمد جواد مغنية، دار ومكتبة الهلال . بيروت . لبنان، ١٩٩١م.
- أمانويل كنت، الأخلاق عند كنت، د/ عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات . الكويت.

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) الناشر: المكتبة التوفيقية
- تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف بطرس كرم (المتوفى: ١٩٥٩ م)، مكتبة الدراسات الفلسفية، الطبعة: الخامسة.
- تاريخ الفلسفة اليونانية، تأليف د/يوسف كرم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٠٠، ١٩٣٦م.
- التأصيل الشرعي للتعامل مع غير المسلمين، تأليف د/ مصطفى بن حمزة، ترجمة د. عبد النور الخرافي وزارة الأوقاف والشؤن الإسلامية، الطبعة الأولى، دولة الكويت، ٢٠١١م١٤٣٢هـ، بتصرف.
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ
- التعريف بالإسلام، الشيخ عطيه صقر، تقديم / أ. د محيي الدين عفيفي، طبعة الثانية، مجمع البحوث الإسلامية، ١٤٣٧، ٢٠١٦م
- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م
- التنبيه على سبيل السعادة، للفارابي، دراسة وتحقيق د / سحبان خليفات، الطبعة الأولى . عمان . ١٩٨٧م

- تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته، دكتور زكريا الشربينى– دكتورة يسرية صادق، الناشر: دار الفكر العربى.
- تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (المتوفى: ٤٢١هـ)، حققه وشرح غريبه: ابن الخطيب، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة: الأولى.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م
- الحديث النبوي وعلم النفس، د / محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.
- دراسة في التصوف الإسلامي، الدكتور / محمد الأنور حامد عيسى، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ، ١٩٨٩م
- دستور الأخلاق في القرآن، محمد بن عبد الله دراز (المتوفى: ١٣٧٧هـ) الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: العاشرة ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م
- الدوافع النفسية، د / مصطفى فهمي، دار مصر للطباعة، الطبعة الأولى ١٩٥١م
- الدين، بحوث لدراسة ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، د/ محمد عبد الله دراز، دار القلم

- السلوك الإنساني، الحقيقة والخيال، د / فخري الدباغ، الكتاب الثاني عشر، ١٥ يوليو ١٩٨٦م.
- سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله والعلاقات الإنسانية منهاجا... وسيرة، د /عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى: ١٤٢٩هـ) الناشر: مكتبة وهبة، الطبعة: الأولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م
- شرح النووي على صحيح مسلم، للنووي (ت: ٦٧٦هـ)، بيروت، الطبعة الثانية – ١٣٩٢هـ.
- العلاقات الدولية في الإسلام، الإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي . بيروت . ١٤١٥ هـ، ١٩٩٥م.
- علم الأخلاق الإسلامية، مقداد يالجن محمد علي، الناشر: دار عالم الكتب للطباعة والنشر – الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- علم الأخلاق إلى نيقو ماخوس، تأليف / أرسطو طاليس، ترجمه من اليونانية إلى الفرنسية، وصدره بمقدمة ممتعة في علم الأخلاق وتطوراته، وعلق عليه تعليقات تفسيرية، بارتملي سانتهلير مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٤٣هـ، ١٩٢٤م
- علم النفس والأخلاق، ج. أ . هادفليد، ترجمه محمد عبد الحميد أو العزم، راجعه د/ عبد العزيز القوصي، دار المعارف العمومية، مكتبة ت مصر..
- علم نفس النمو من الجنين إلى الشيخوخة، المؤلف: عادل عز الدين الأشول، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية
- فلسفة الأخلاق . نشأتها وتطورها، د / توفيق الطويل، دار النهضة، ط٤، ١٩٧٩م
- فلسفة الأخلاق عند الفارابي، دكتور / ناجي عباس التكرتي، عمان . دار دجلة، ٢٠١١م.

- فلسفة الأخلاق، د / مصطفى عبده، مكتبة مدبولي . القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م.
- الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، تأليف د / إبراهيم مصطفى، دار الوفاء . الأسكندرية.
- . كتاب الأخلاق . أحمد أمين، مؤسسة هنداوي، سنة ٢٠١١م.
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ) المحقق: عدنان درويش – محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت
- كيمياء السعادة، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، مطبعة السعادة
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ
- مباحث في فلسفة الأخلاق، محمد يوسف موسى، مؤسسة هنداوي.
- محاضرات في النصرانية (تبحث في الأدوار التي مرَّت عليها عقائد النصاري وفي كتبهم ومجامعهم المقدسة وفرقهم) محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ) الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة: الثالثة ١٣٨١ هـ – ١٩٦٦ م
- المدخل إلى الفلسفة، تأليف / أزفد كولبه، ترجمة دكتور / أبو العلا عفيفي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ٢٠١٦م
- المدينة الفاضلة، للفارابي، تأليف الدكتور/ على عبد الواحد وافي، نهضة مصر.
- المذاهب الأخلاقية في الإسلام، د / عبد الحي محمد قابيل، دار الثقافة للنشر، ١٩٨٤م.

- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت
- معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي دار الطليعة بيروت . الطبعة الثانية، ١٩٩٧م.
- المعجم الفلسفي (بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية) الدكتور جميل صليبا (المتوفى: ١٩٧٦م) الناشر: الشركة العالمية للكتاب – بيروت، تاريخ الطبع: ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤م
- المعجم الفلسفي، مراد وهبة، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر سنة ٢٠٠٧م
- معجم المصطلحات النفسية والتربوية، د / محمد مصطفى زيدان، دار الشروق، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
- المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، ط الهيئةالعامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٩٩ م . ٢٠٠٠م.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ

- المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) المحقق: بسام عبد الوهاب الجابي، الناشر: الجفان والجابي – قبرص، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ – ١٩٨٧م.
- الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ) مؤسسة الحلبي
- منبعا الأخلاق الكاملة، هنري برجسون، الأعمال الكاملة، ترجمة الدكتور/ سامي الدروبي، والدكتور / عبد الله عبد الدايم، الهيئة العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١م
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.
- الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ) المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م .

## References


- Ihyaa Uloom Ad-Din, Abu Hamed Muhammad bin Muhammad Al-Ghazali At-Tusi Publisher: Dar Al-Maarifa - Beirut
- Al-Fardous bi Mathur Al-Khittab, Author: Shirwiyah bin Shahrdar bin Shirwiyah Ad-Dailami Abu Shujaa, Publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Publishing Year: 1406 - 1986
- Al-Akhlaq Al-Islamiyyah wa Ussususha, Abdul Rahman Hassan Habnekah Al-Midani, Dar Al-Qalam Damascus - Fifth Edition, 1420AH, 1999AD.
- Al-Akhlaq An-Nazareyyah, Dr. Abdul Rahman Badawi, Publications Agency - Kuwait, 2nd Edition, 1975
- Al-Akhlaq Inda Al-Ghazali, Dr. Zaki Mubarak, Dar Al-Kateb Al-Arabi for Printing and Publishing. Hindawi Foundation, 2012.,
- Al-Akhlaq Inda Hume, Dr. Mohamed Sayed Ahmed, Dar Ath-Thaqafah for Publishing, 1992AD.
- Al-Akhlaq fi Itar An-Nazrah At-Tawireyyah, Dr. Taha Hobeishi, Al-Iman Library, First Edition 1440AH, 2019AD.
- Al-Islam fi Muwajahat At-Tahadiyyat Al-Muaserah, Abu Ali Al-Mawdudi, Dar Al-Qalam - Kuwait, Fourth Edition, 1400AH, 1980AD.
- Al-Islam wa Al-Akl, Muhammad Jawad Mughniyeh, Dar Al-Hilal - Beirut - Lebanon, 1991.
- Amanuel Kant, Al-Akhlaq Inda Kant, Dr. Abdul Rahman Badawi, Publications Agency - Kuwait.
- Tarikh Al-Islam wa Wafiwat Al-Mashahir wa Al-Aalam, Shams Ad-Din Abu Abd Allah Muhammad ibn Ahmad ibn Othman ibn Qaymaz Az-Zhahabi Publisher: At-Tawfiqiyyah Bookshop
- Tarikh Al-Falsfah Al-Haditha, Youssef Boutros Karam Ad-Dirasat Al-Falsafiyyah Bookshop, Fifth Edition.
- Tarikh Al-Falsafah Al-Younaniyyah, by Dr. Youssef Karam, Press of the Committee of Authorship, Translation and Publishing, 1300, 1936AD.

- At-Taseel Ash-Sharei li At-Tamul maa Ghayr Al-Muslimeen, by Dr. Mustafa bin Hamza, translated by Dr. Abdul Nour Al-Kharafi, Ministry of Awqaf and Islamic Affairs, First Edition, State of Kuwait, 2011AD, 1432 AH.
- Tahrir Al-Mana As-Sadid wa Tanweer Al-Akl Al-Jadid min Tafsir Al-Kitab Al-Majid, Taher Ibn Ashour, 1st Edition, Ad-Dar At-Tunisiyyah, Tunis, 1948 AH.
- At-Tareef bi Al-Islam, Sheikh Attia Saqr, Introduction / Dr. Mohiuddin Afifi, Second Edition, Islamic Research Complex, 1437, 2016AD
- Irshad Al-Akl As-Salim ela Mazaya Al-Kitab Al-Karim, Abu As-Saud Al-Emadi Muhammad bin Muhammad bin Mustafa, 1st edition, Dar Ihyaa At-Turath Al-Arabi, Beirut, no date.
- Tafsir Al-Quran Al-Hakim (Tafsir Al-Manar), Shams Ad-Din bin Muhammad Al-Qalamouni Al-Husseini. General Egyptian Book Orgnaization. - 1990AD.
- Al-Madinah Al-Fadilah, by Al-Farabi, Dr. Ali Abdel Wahed Wafi, Nahdet Misr.
- Al-Musnad As-Saheeh Al-Mukhtasar, Muslim bin Al-Hajjaj Abu Al-Hassan, Publisher: Dar Ihyaa Al-Turath Al-Arabi - Beirut
- Mujam Al-Falasifah, George Tarabishi, Dar Al-Tali ah Beirut - Second Edition, 1997.
- Al-Mujam Al-Falsafi (in Arabic, French, English and Latin) Dr. Jamil Saliba Publisher: International Book Company – Beirut, Date of Printing: 1414 AH - 1994AD
- Al-Mujam Al-Falsafi, Murad Wahba, Dar Qubaa Al-Haditha for Printing and Publishing in 2007
- Mujam Al-Mustalahat An-Nafsiyyah wa At-Tarbawiyyah, Dr. Mohamed Mustafa Zaidan, Dar Ash-Shorouk, First Edition 1399AH,1979AD.
- Al-Mujam Al-Wajeez, Arabic Language Academy, General Authority for Amiri Press Affairs 1999-2000.

- Mafatih Al-Ghaib aw At-Tafsir Al-Kabir – Abu Abdullah Muhammad bin Omar bin Hassan bin Hassan Ar-Razi – Publisher Dar Ihyaa At-Turath Al-Arabi Beirut (Third Edition) 1420 AH.
- Al-Mufradat fi Gharib Al-Quran, Abu Al-Qasim Al-Hussein bin Muhammad, known as Al-Ragheb Al-Asfahani, Publisher: Dar Al-Qalam, Dar Ash-Shamiya - Damascus Beirut, First Edition - 1412 AH
- Al-Maqsid Al-Asna fi Sharh Maani Asmaa Allah Al-Hosna, Abu Hamid Muhammad bin Muhammad Al-Ghazali At-Tusi, Publisher: Al-Jafan and Al-Jabi – Cyprus, First Edition, 1407 – 1987AD.
- Al-Milal wa An-Nihal, Abu Al-FaTḥ Muḥammad ibn Abd al-Karim ibn Abi Bakr Ash-Shaharstani
- Al-Manhaj Sharh Sahih Muslim bin Al-Hajjaj, Abu Zakaria Muhyieddin Yahya bin Sharaf Al-Nawawi Publisher: Dar Ihyaa Al-Turath Al-Arabi – Beirut, Second Edition,1392AH.
- Al-Mawafaqat, Ibrahim bin Musa bin Mohammed Al-Lakhmi Al-Gharnati, known as Ash-Shatibi, Publisher: Dar Ibn Affan, Edition: First Edition 1417AH/ 1997AD.

# فهرس الموضوعات


| الموضوع |
| --- |
| **المقدمة** |
| المبحث الأول: الضمير الإنساني مفهومه . أهميته . درجاته. |
| المبحث الثاني: الأسس الأخلاقية والسلوكية لبناء الضمير الإنساني |
| المبحث الثالث: الدوافع الأخلاقية للضمير الإنساني في السلم |
| المبحث الرابع: الدوافع الأخلاقية للضمير الإنساني في الحرب |
| **الخاتمة** |
| **المصادر والمراجع** |
| **فهرس الموضوعات** |